الردود العلمية على شبهات المحتفلين بمولد خير البرية

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٠٤ السنة الواحدة والخمسون - ربيع آخر ١٤٤٣ هـ
الثمن ٥ جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم
إنما يعمر مساجد الله

نظرات في زواج التحليل

إعداد الشباب لتحمل المسئولية

التربية بناء للإنسان وحماية للأوطان

المسلمون في الهند

منذ أربعة عشر قرناً حتى الآن (رحلة تاريخية)

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

نائب المشرف العام

أ. د. مرزوق محمد مرزوق

اللجنة العلمية

د. جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. محمد عبد العزيز السيد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولارا أو ٢٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلهما

مطابع الأهرام التجارية

السلام عليكم

بالورقة والقلم

إذا رُزق أي إنسان بمولود، بعد اشتياق وانتظار ولهفة، فباتفاق كل العقلاء، بل والنقل يتفق أيضا مع العقل أن ولادة ذلك المولود هي البشرى العظيمة والفرحة العارمة عند أهله وجيرانه وكل مُحبيه، وربما بالغوا في هذه السعادة فعملوا له ما يطلقون عليه «عيد الميلاد»، ولكنْ إذا مات هذا الولد بعد سنة أو عشرين أو خمسين سنة؛ فباتفاق العقلاء أيضًا سينقطع احتفال أهله بمولده، وتتوقف سعادتهم، وتنقلب حزنًا يتجدد كلما هبت رياح ذكراه، ولا يصبح لميلاده أي ذكرى ولا أدنى احتفال، بل يبالغ بعضهم أيضًا بعمل الذكرى السنوية لوفاته؛ وهي بلا شك ذكرى حزينة تتجدد معها الآلام والأحزان، ولا يطلق عليها بأي شكل «احتفال».

والسؤال هنا: لو رأينا رجلًا مات ابنه وفلذة كبده، وأعز ما لديه؛ فحزن عليه حزنًا شديدًا، وخسر هذا الرجل بموت ابنه وحبيبه خسارة جسيمة لا يستطيع تعويضها، وإذا به يدعو الجيران والأصحاب إلى وليمة طعام وحلويات ومشروبات، فسألوه عن المناسبة فقال: إنها احتفال بيوم ميلاد ابني الذي مات العام الماضي، فكيف يكون شعور الناس ووصفهم وتعليقهم على هذا الأب؟!!!!

وإذا كان ما ذكرناه مُتَّفقًا عليه نقلًا وعقلًا عند كل عاقل، فما بال القوم يغالطون أنفسهم، ويعاندون العقلاء، ويسمونهم جهلاء؟ وأعظم ما نخشاه أن يصفوهم بعدُ بأنهم خوارج، وبئس الداء.

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٨ مجلدا من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٨ سنة كاملة

فهرس العدد

التسبيح فضله ومكانته	د. عبد الله شاكر	٢
باب التفسير	د. عبد العظيم بدوي	٥
المسلمون في الهند	د. أيمن خليل	٨
نظرات في زواج التحليل	د. محمد عبد العزيز	١٢
من حديث القرآن عن سيد الأنام	الشيخ صلاح عبد الخالق	١٤
باب السنة	د. مرزوق محمد مرزوق	١٧
غزوة بدر	د. سيد عبد العال	٢١
فقه المرأة المسلمة	د. عزة محمد رشاد	٢٤
الردود العلمية على شبهات المحتفلين بمولد خير البرية	الشيخ معاوية محمد هيكل	٢٨
القصة في كتاب الله	د. عبد الوارث عثمان	٣٢
واحة التوحيد	د. علاء خضر	٣٦
دراسات شرعية	د. متولي البراجيلي	٣٨
مجلة التوحيد عبق الماضي وأريج المستقبل	محمد محمود فتحي	٤١
باب الفقه	د. حمدي طه	٤٦
إعداد الشباب لتحمل المسئولية	د. جمال عبد الرحمن	٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية	الشيخ علي حشيش	٥٣
نماذج تحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة	د. محمد عبد العليم الدسوقي	٥٧
خطورة الغياب عن إصلاح الشباب	د. عماد محمد علي عيسى	٦١
التربية بناء للإنسان وحماية للأوطان	د. صالح بن عبد الله بن حميد	٦٤
مقالات في معاني القراءات	د. أسامة صابر	٦٨
فضل وآداب زيارة المريض	الشيخ صلاح نجيب الدق	٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧، فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

٩٢٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

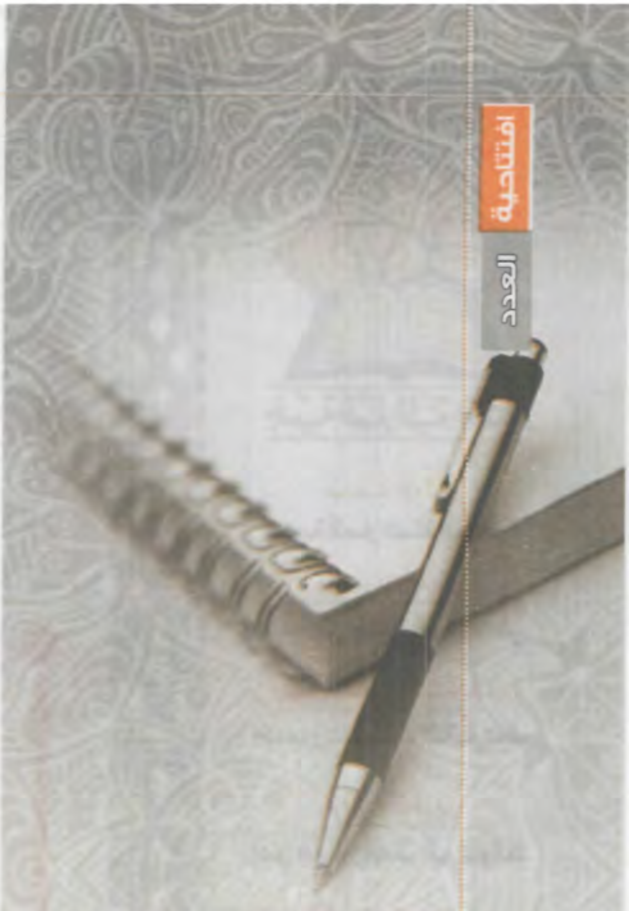

التسبيح.. فضله ومكانته

الرئيس العام **د. عبد الله شاكر**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين... وبعد:

فإن التسبيح أحد الكلمات الأربع التي سبق بيان فضلها ومكانتها، وهو أول الكلمات ورودًا في الحديث كما في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت». (صحيح مسلم: ٢١٣٧).

ومعنى التسبيح: التنزيه، وأصل هذه الكلمة: من السبح وهو البعد.

قال الأزهري: «ومعنى تنزيه الله من السوء تبعيده عنه، من قولك: سبحت في الأرض إذا أبعدت فيها، ومنه قوله جل وعز: «وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» (يس: ٤٠)، وكذلك قوله: «وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا» (النازعات: ٣)». (تهذيب اللغة: ج٤/٣٣٨).

وقد أفاد كلامه أن التسبيح: إبعاد صفات النقص من أن تضاف إلى الله تعالى، وتنزيهه سبحانه عما لا يليق به، وقد وردت آثار كثيرة عن السلف تفيد هذا المعنى، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «سبحان الله، تنزيه الله عز وجل عن كل سوء». (الدعاء للطبراني: ج٣/١٥٩١).

وقال ابن الأثير: «وأصل التسبيح: التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص، ومعنى التسبيح: تنزيه الله، وهو نصب على المصدر بفعل مضمر، كأنه قال: أبرئ الله من السوء براءة». (النهاية: ج٢/٣٣١).

وقال ابن منظور: «وقد يكون التسبيح بمعنى الصلاة والذكر، نقول: قضيت سبحتي...، وعليه فسر قوله تعالى: «فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ» (الروم: ١٧)، يأمرهم بالصلاة في هذين الوقتين، وسميت الصلاة تسبيحًا، لأن التسبيح: تعظيم الله وتنزيهه من كل سوء. (لسان العرب: ج٢/٤٧٣).

وبهذا يظهر المراد من تسبيح الله تبارك وتعالى، وأنه تنزيه الله عن كل عيب ونقص، وعن وصفه بما لا يليق بجلاله وكماله.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «والأمر بتسبيحه يقتضي تنزيهه، عن كل عيب وسوء، وإثبات

المحامد التي يُحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده». (دقائق التفسير: ج٥/ ٥٩).

وبناء على ما تقدم أقول: إن ما وقع فيه الجهمية والمعتزلة وسائر الطوائف التي نفت الصفات عن الله تعالى بحجة التنزيه كلام باطل لا يصح؛ لأن إثبات الصفات لله على ما يليق به هو في الحقيقة إثبات للكمال لله تعالى، وتسليم لنصوص الوحيين القرآن والسنة، وهو الواجب في هذا الباب، وقد أثنى الله تبارك وتعالى على المرسلين لسلامة ما وصفوا به رب العالمين، فقال: «سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (الصافات: ١٨٠- ١٨٢).

ونفي الصفات عن الله تعطيل لهذا الكمال، وقد نبَّه أئمة اللغة على ذلك، قال ابن هشام: «ألا ترى أن تسبيح المعتزلة اقتضى تعطيل كثير من الصفات». (مغني اللبيب: ج١/ ١٤٠).

وفي صحيح مسلم: أن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبُّوح قدُّوس ربّ الملائكة والروح». (مسلم: ٤٨٧).

قال ابن منظور: «ومن صفات الله عز وجل: السُّبُوح القدوس، قال أبو إسحاق: السبوح: الذي يُنزّه عن كل سوء، والقدوس: المبارك، وقيل: الطاهر، وقال ابن سيده: سبوح قدوس من صفة الله عز وجل، لأنه يُسبّح ويُقدّس». (لسان العرب: ج٢/ ٤٧٢).

وعن أبي موسى رضي الله عنه: قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال: «إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه». (مسلم: ٢٩٣).

قال ابن الأثير: «وسُبُحات وجه الله بضم السين والباء: أنواره وجلاله وعظمته».

قال ابن شميل: سبحات وجهه: نور وجهه. (لسان العرب: ج٢/ ٤٧٣).

هذا وقد اشتملت السنة النبوية الشريفة على كثير من الأحاديث الدالة على فضل التسبيح وشريف قدره وما يترتب عليه من ثواب عظيم يعود على المسبح، وسأسوق هنا- بإذن الله- بعضًا من هذه الأحاديث لأذكر نفسي وأهل الإيمان بأهميته، ليقبلوا عليه تعظيمًا لله، ورغبةً فيما أعده جل في علاه، من أجر كريم وفضل عظيم للمسبحين، وقد عقد الإمام البخاري في كتاب الدعوات من صحيحه بابًا بعنوان: «باب فضل التسبيح»، وساق تحته حديثين، الأول: رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر». (البخاري: ٦٤٠٥).

والحديث الثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم وسبحان الله وبحمده». (البخاري: ٦٤٠٦).

وقد أفاد الحديث الأول أن التسبيح وكثرته تحطان الخطايا والذنوب مهما كثرت، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر أن من قال: حين يصبح وحين يمسي: «سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه». (مسلم: ٢٦٩٢).

وقد عدَّه العلماء من أذكار الصباح والمساء.

والحديث الثاني: ختم به الإمام البخاري جامعه الصحيح، ولفظه هناك: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحانه الله وبحمده، سبحان الله العظيم». (البخاري: ٧٥٦٣).

قال ابن حجر في شرحه: «كلمتان هو الخبر، وحبيبتان وما بعدها صفة، والمبتدأ: سبحان الله إلى آخره، والنكتة في تقديم الخبر تشويق السامع إلى المبتدأ، وكلما طال الكلام في وصف الخبر حسن تقديمه؛ لأن كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقًا، وخص لفظ الرحمن بالذكر، لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى

على عباده: حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الكثير، ولهذا وصف الكلمتين بالخفة والثقل، لبيان قلة العمل وكثرة الثواب، وفي الحديث: ترغيب وتخفيف، وحثّ على الذكر المذكور لمحبة الله له، والخفة بالنسبة لما يتعلق بالعمل، والثقل بالنسبة لإظهار الثواب، وجاء ترتيب هذا الحديث على أسلوب عظيم، وهو أن حبّ الرب سابق، وذكر العبد وخفة الذكر على لسانه تال.. ثم بين ما فيهما من الثواب العظيم النافع يوم القيامة». (انظر: فتح الباري ج١٣/ ٥٤٠- ٥٤٢. بتصرف).

ومما يدل على فضل التسبيح: أن أهل الجنة يسبحون الله بكرةً وعشيًا، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من ذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يُرى مخّ سُوقهما من وراء اللحم من الحسْن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيًا». (البخاري: ٣٢٤٥، ومسلم: ٢٨٣٤).

وكلمة: «الألوة» الواردة في الحديث معناها: العود الذي يتبخر به، وتفتح همزته وتضم. (النهاية في غريب الحديث: ج١/ ٦٣).

وقد أفاد الحديث أن أهل الجنة يكثرون من التسبيح، وهذا يدل على فضله ومكانته، قال القرطبي رحمه الله: «هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام، وقد فسره جابر في حديثه عند مسلم بقوله: يلهمون التسبيح والتكبير كما يُلهمون النّفس، ووجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه، ولا بد له منه، فجعل تنفسهم تسبيحًا، وسببه أن قلوبهم تنوره بمعرفة الرب سبحانه وامتلأت بحبه». (فتح الباري: ج٦/ ٣٢٦).

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن العبد ينال بالتسبيح كثيرًا من الحسنات، وتحط عنه به الخطيئات، كما في حديث مصعب بن سعد عن أبيه قال: «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة، فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة». (صحيح مسلم ٢٦٩٨).

والمتأمل في أحوال النبي صلى الله عليه وسلم مع التسبيح وكثرة ذكره لله به يدرك فضل التسبيح ومكانته، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي يتأول القرآن». (مسلم: ٤٨٤).

قال النووي في شرحه للحديث: معنى يتأول القرآن: يعمل ما أمر به في قول الله عز وجل: «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» (النصر: ٣).

وكان صلى الله عليه وسلم يقول هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفي ما أمر به في الآية». (شرح النووي على صحيح مسلم ج٤/ ٢٠١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن جويرية رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟». قالت: نعم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وُزنتْ بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته». (مسلم: ٢٧٢٦).

وهنا يدل على مكانة التسبيح وفضله، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتني به ويحث عليه ويكثر منه، وأختم بهذا الحديث الذي يدل على ذلك، عن عائشة رضي الله عنها قالت: افتقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه، فتحسست ثم رجعت، فإذا هو راكع أو ساجد يقول: «سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت». (مسلم: ٤٨٥).

أسأل الله تعالى: أن يجعلنا من المسبحين وأن يتقبل منا صالح الأعمال.

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

الحلقة السابعة

قال الله تعالى:

« وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ (٤٣) »

(العنكبوت: ٣٨- ٤٣)

إعداد **د. عبد العظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إجمال مصارع المكذبين من السابقين:

ثُمَّ يُشِيرُ الله تعالى إشَارَاتٍ مُجْمَلَةً إلى مَصَارِعِ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ السَّابِقِينَ، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: « وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ »: « فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ » (الحاقة: ٥- ٨).

وكَانَتْ عَادٌ بالأحْقَاف في الْيَمَن جَنُوبَ مَكَّة، وكانَتْ ثَمُودُ بالْحِجْر شَمَال مَكَّة، وَقَدْ كانَ لأهْلِ مَكَّة رِحْلَةٌ في الشِّتَاء إلى الْجَنُوب، وَرِحْلَةٌ في الصَّيْف إلى الشَّمَال، وَكَانُوا يَمُرُّونَ عَلَى مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَهُمْ، كَمَا لَمْ يَعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ قَوْمَ لُوط، وَهُمْ يَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْل.

«وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ» أيْ وَأَهْلَكْنَا هَؤُلاء، «وَلَقَدْ جَاءَهُم مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ» بِالدَّلالاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِ، «فَاسْتَكْبَرُوا في الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ٣٩»، أيْ مَا كَانُوا يَفُوتُونَ اللَّه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ » (الشورى: ٣١)، وَقَالَ تَعَالَى: « أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا » (فاطر: ٤٤).

ثُمَّ يُشِيرُ اللَّه تَعَالَى إلَى كَيْفِيَّة إهْلاك تِلْكَ الأُمَم

الظالمة، إرشادًا إلى عدم سبقهم، فيقول سبحانه: «فكلًا أخذنا بذنبه فمنهم مَنْ أرسلنا عليه حاصبًا ومنهم مَنْ أخذته الصيحة ومنهم مَنْ خسفنا به الأرض ومنهم مَنْ أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ٤٠».

«فكلًا» أي فكل واحد من المذكورين «أخذنا بذنبه» أي عاقبناه بجنايته، «فمنهم مَنْ أرسلنا عليه حاصبًا» كقوم لوط، «ومنهم مَنْ أخذته الصيحة» كثمود، «ومنهم مَنْ خسفنا به الأرض» كقارون، «ومنهم مَنْ أغرقنا» كفرعون، «وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ٤٠»، كما صرح في أول الآية: «فكلًا أخذنا بذنبه»، وكما قال تعالى: «أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ» (الأنعام: ٦)، وقال تعالى: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ» (القصص: ٥٩).

مثلهم كمثل العنكبوت:

«مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ»:

لما بيّنت لهم الأشباه والأمثال من الأمم التي اتخذت الأصنام من دون الله، فما أغنت عنهم أصنامهم لما جاءهم عذاب الله، أعقب ذلك بضرب المثل لحال جميع أولئك، وحال من ماثلهم من مشركي قريش، في اتخاذهم ما يحسبونه دافعًا عنهم، وهو أضعف من أن يدفع عن نفسه، بحال العنكبوت، تتخذ لنفسها بيتًا تحسب أنها تعتصم به من المعتدي عليها، فإذا هو لا يصمد ولا يثبت لأضعف تحريك فيسقط ويتمزق.

والمقصود بهذا الكلام مشركو قريش، وتعلم مساواة غيرهم لهم في ذلك بدلالة لحن الخطاب، والقرينة قوله تعالى بعده: «إنَّ الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم ٤٢»، فضمير «اتخذوا» عائد إلى معلوم من سياق الكلام وهم مشركو قريش، وجملة «اتخذت بيتًا» حال من العنكبوت، وهي قيد في التشبيه. وهذه الهيئة المشبه بها مع الهيئة المشبهة قابلة لتفريق التشبيه على أجزائها: فالمشركون أشبهوا العنكبوت في الغرور بما أعدوه، وأولياؤهم أشبهوا بيت العنكبوت في عدم الغناء عمّن اتخذوها وقت الحاجة إليها، وتزول بأقل تحريك، وأقصى ما ينتفعون به منها نفع ضعيف، وهو السكنى فيها، وتوهُّم أن تدفع عنهم كما ينتفع المشركون بأوهامهم في أصنامهم. وهو تمثيل بديع من مبتكرات القرآن. (التحرير والتنوير: ٢٠/٢٥٢).

فإن قيل: ما الحكمة في اختيار هذا المثل من بين سائر الأمثال؟

فالجواب من وجوه:

الأول: أنّ البيت ينبغي أن يكون له أمور: حائط، وسقف مظل، وباب يغلق، وأمور ينتفع بها ويرتفق، وإن لم يكن كذلك فلا بدّ من أحد أمرين: إمّا حائط حائل يمنع من البرد، وإمّا سقف مظل يدفع عنه الحرّ، فإن لم يحصل منهما شيء فهو كالبيداء ليس ببيت، لكن بيت العنكبوت لا يجنّها ولا يكنّها، وكذلك المعبود ينبغي أن يكون منه الخلق والرزق، وجر المنافع، وبه دفع المضار، فإن لم تجتمع هذه الأمور فلا أقل من دفع ضر أو جر نفع، فإنّ مَنْ لا يكون كذلك فهو والمعدوم بالنسبة إليه سواء، فإذا كما لم يحصل للعنكبوت باتخاذ ذلك البيت من معاني البيت شيء، كذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الأوثان أولياء من معاني الأولياء شيء.

الثاني: هو أن أقل درجات البيت أن يكون للظل، فإن البيت من الحجر يفيد الاستظلال، ويدفع أيضا الهواء والماء والنار والتراب، والبيت من الخشب يفيد الاستظلال ويدفع الحر

والبرد ولا يدفع الهواء القوي ولا الماء ولا النار، والخباء الذي هو بيت من الشعر أو الخيمة التي هي من ثوب إن كان لا يدفع شيئًا يظل ويدفع حر الشمس، لكن بيت العنكبوت لا يظل، فإن الشمس بشعاعها تنفذ فيه، فكذلك المعبود أعلى درجاته أن يكون نافذ الأمر في الغير، فإن لم يكن كذلك فيكون نافذ الأمر في العابد، فإن لم يكن فلا أقل من أن لا ينفذ أمر العابد فيه، لكن معبودهم تحت تسخيرهم إن أرادوا أجلوه وإن أحبوا أذلوه.

الثالث: أدنى مراتب البيت أنه إن لم يكن سبب ثبات وارتفاق لا يصير سبب شتات وافتراق، لكن بيت العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت، فإن العنكبوت لو دام في زاوية مدة لا يقصد ولا يخرج منها، فإذا نسج على نفسه واتخذ بيتًا يتبعه صاحب الملك بتنظيف البيت منه والمسح بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت، فكذلك العابد بسبب العبادة ينبغي أن يستحق الثواب، فإن لم يستحقه فلا أقل من أن لا يستحق بسببها العذاب، والكافر يستحق بسبب العبادة العذاب.

فائدة:

كما أن هذا المثل صحيح في الأول فهو صحيح في الآخر، فإن بيت العنكبوت إذا هبت ريح لا يرى منه عين ولا أثر، بل يصير هباء منثورًا، فكذلك أعمالهم للأوثان كما قال تعالى: « وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا » (الفرقان: ٢٣). (التفسير الكبير: ٦٨/٢٥و٦٩).

«إنَّ الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم ٤٢»:

قال الزمخشري عفا الله عنه: هذا زيادة توكيد على التمثيل، حيث إنهم لا يدعون من دونه من شيء، بمعنى ما يدعون ليس بشيء، وهو عزيز حكيم، فكيف يجوز للعاقل أن يترك القادر الحكيم ويشتغل بعبادة ما ليس بشيء أصلاً. (الكشاف: ١٩١/٣).

فإن قال قائل: ما وجه تعلق هذه الآية بالتمثيل السابق؟

فنقول: لما قال إن مثلهم كمثل العنكبوت، فكان للكافر أن يقول: أنا لا أعبد هذه الأوثان التي أتخذها وهي تحت تسخيري، وإنما هي صورة كوكب أنا تحت تسخيره، ومنه نفعي وضري، وخيري وشري، ووجودي ودوامي، فله سجودي وإعظامي، فقال الله تعالى: الله يعلم أن كل ما يعبدون من دون الله هو مثل بيت العنكبوت، لأن الكوكب والملك وكل ما عدا الله لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله، فعبادتكم للغائب كعبادتكم للحاضر، ولا سواء. (التفسير الكبير ٧٠/٢٥).

الحث على تدبر الأمثال:

«وتلك الأمثال نضربها للناس»، أي: لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس.

«وما يعقلها» بفهمها وتدبرها، وتطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب «إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ» أي: أهل العلم الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم.

وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحث على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين.

والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها.

وأما من لم يعقلها مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى. ولهذا أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها. (تيسير الكريم الرحمن: ٨٩/٦، ٩٠).

وللحديث صلة، والحمد لله رب العالمين.

المسلمون في الهند منذ أربعة عشر قرنًا حتى الآن (رحلة تاريخية)

إعداد **د. أيمن خليل**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فهذه رحلة تاريخية عن وجود المسلمين في بلاد الهند منذ أربعة عشر قرنًا حتى الآن، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الفتح الإسلامي للهند:

يُقصد ببلاد الهند في كتب التاريخ شبه القارَة الهندية، والتي تشمل الآن دول: الهند، وباكستان، وبنجلاديش، ونيبال، وبوتان، وسيريلانكا، وجزر المالديف، وقد وطأ المسلمون بلاد الهند في خلافة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٥هـ، عندما غزا الحكم بن أبي العاص الثقفي على مدينة (تانه) شمال مدينة بومباي.

وتكرر الأمر ولكن لم يستقر المسلمون بها حتى تولى الحجاج بن يوسف الثقفي إمرة العراقين (عراق العرب وعراق العجم) وسائر بلاد المشرق (حتى اتسعت إمارته كثيرًا على ملك كسرى)، وأرسل الحجاج الجيوش بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي ليفتح بلاداً كثيرة في تركستان الشرقية وتركستان الغربية، لتصل حدود الدولة الإسلامية إلى أجزاء من الاتحاد السوفييتي والصين، كما أرسل الحجاج عدة حملات نجحت إحداها عام ٩٢هـ بقيادة ابن أخيه محمد بن القاسم في فتح بلاد السند (باكستان وكانت جزءًا من الهند آنذاك).

وبضعف الدولة العباسية تفككت الدولة

الإسلامية إلى عدة إمارات في السند، حتى جاءت الدولة الغزنوية، ففتح مؤسسها سبكتكين البنجاب، ثم غزا ابنه محمود بن سبكتكين بلاد الهند سبع عشرة مرة، ففتح قنوج؛ وكوجرات، وانتشر الإسلام في أكثر الأجزاء التي فتحها في الهند، وتوفي محمود عام ٤٢١هـ، فجاء ابنه مسعود ففتح مدينة بنارس على نهر الجانج.

وانتهى حكم الغزنويين عام ٥٥٥هـ، ليتولى بعدهم الغوريون الحكم، واستطاع شهاب الدين الغوري أن يتوغل في بلاد الهند، وأن يسيطر على دلهي ويتخذها عاصمة له.

وتولى حكم الهند بعد الغوريين آل تغلق قرابة قرن من الزمان منذ عام ٧٢٠هـ، وكان منهم فيروز شاه الذي أنشأ المدارس وبنى المساجد والمستشفيات، وأقام الحصون، وبعد موته تنازع الأمراء على الحكم، ليتولى حكم الهند بعد آل تغلق " التيموريون" (المغول) والذين ظل حكمهم للهند حتى أقصاهم الإنجليز.

الاحتلال البرتغالي والهولندي لسواحل الهند:

وصل فاسكودا جاما إلى سواحل الهند، ليكون طليعة للاحتلال البرتغالي (الكاثوليكي) لسواحل الهند، فاحتلوا "جزيرة ديو" عام ٩٤٣هـ، كما احتلوا بعض المواقع الساحلية فقط، مثل: دامان شمال بومباي، وجوا، إضافة إلى جزر المالديف وجزيرة سيلان (سريلانكا) التي ارتكبوا فيها أبشع الجرائم ضد المسلمين مثل مذبحة ماتار في سريلانكا عام ١٠٥٣هـ. كما احتل الهولنديون جزر المالديف وجزيرة سيلان (سريلانكا)، ورغم ذلك استمر الحكم الإسلامي للهند بل في حكم محمود جلال الدين (أكبر شاه) بلغت الدولة أقصى اتساع لها حيث حكم معظم الهند، إضافة إلى بلاد الأفغان.

محاولة حاكم جاهل توحيد الأديان بالهند:

في عام ٩٨٦هـ أراد محمود جلال الدين أن يقوي نفوذه في الهند، وبدلاً من أن يتوجه إلى الله عز وجل مستعينًا به فيما يرنو إليه، متوكلاً عليه، إذا به -لشدة جهله وضعف عقيدته- يسعى بزعمه لإرضاء أهل الهند على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، فسعى لإيجاد دين يجمع بين الإسلام والهندوسية والبراهمية والبوذية والزرادشتية وغيرها، فحرم ذبح الأبقار وأباح الزواج من المشركات بل وأباح للمشركين الزواج من المسلمات، وجعل مدينة فتح بور مقرًا للعقيدة المخترعة، ونتج عن ذلك تأسيس فرقة السيخ التي جمعت هذا الأفكار، وأخذت بأمور من الإسلام وأخرى من الهندوسية، وتلقف أفكاره "غورو ناناك ديف" مؤسس السيخية ومعلمها الأول، والذي أعطاه الملك أكبر شاه قطعة أرض بنى عليها مدينة أمريستار عاصمة السيخ الدينية بالبنجاب. وبذلك كانت بداية النهاية للحكم الإسلامي للهند على يدي هذا الحاكم الجاهل بالعقيدة الإسلامية الذي نرى أنه يعد بحق مؤسس السيخية وليس "غورو ناناك ديف" معلم السيخ الأول.

وتوالى الحكام على الهند حتى جاء محيي الدين محمد أورنكزيب الذي ضم بخارى وخوارزم وبيجابور إلى ملكه بالهند ؛ وأبطل ما ابتدعه أكبر شاه، وأمر بتدوين الفقه الإسلامي.

ولكن سرعان ما تسبب الخلل في العقيدة في زوال ملك المسلمين بالهند، فقد جاء من بعد محيي الدين أورنكزيب ابنه قطب الدين محمد معظم بهادور والذي اعتنق المذهب الشيعي، وبدأت الدولة في عهده في الضعف، وقوى أمر السيخ والمهراتا، وبدأت الإمارات الهندية تستقل، فاستقل السيخ بالبنجاب، واستقل المهراتا بالكوجرات، واستقلت الدكن، وبدأ النفوذ الإنجليزي يدخل الهند حتى انتهت الدولة المغولية بآخر حكامها بهادور، الذي أسقطه الإنجليز عام ١٢٧٣هـ ونفوه خارج الهند إلى بورما لينتهي الحكم الإسلامي للهند ولتبدأ مرحلة جديدة من الاضطهاد.

الاحتلال الإنجليزي للهند واضطهاد المسلمين:

بدأ الإنجليز (البروتستانت) احتلالهم للهند اقتصاديًا قبل الاحتلال العسكري؛ حيث أنشأوا (شركة الهند الشرقية) لتتعامل مع

حكومة الهند المسلمة (سلطان المغول) مباشرة دون وساطة البرتغاليين، فأرسلتْ ملكة إنجلترا وقتها إلى السلطان جلال الدين أكبر تطلب موافقته على ذلك، فأذن لهم، فتكوّنتْ شركة تجمع كبارَ التجار الإنجليز، وسيطرت هذه الشركة على تجارة الهند وخاصة التوابل.

واتبع الفرنسيون نفس سياسة الإنجليز في إنشاء شركات تجارية فرنسية في الهند، كانت تحرص على أن تشتري أراضي لها، وبناء حصون لها لدعم مركزها في الهند، لاحتلال البلاد، وكان للفرنسيين بعض المراكز في الهند منها مونديشيري وعندر ونياوان وكاريكال.

ثم هزم الإنجليز البرتغاليين والهولنديين عسكريًا وتمكنوا من التوغل في الهند، وكانت أول المدن التي استولوا عليها مدراس، ثم توسعوا في الهند حتى دانت لهم كلها.

ورأى الإنجليز أن المسلمين هم العقبة الأساسية في توغلهم في الهند، فأخذوا يستميلون الهندوس، ويعينونهم على المسلمين الذين هدمت الكثير من مساجدهم وصودرت أملاكهم.

اضطهاد المسلمين واستقلال الباكستان عن الهند:

عند استقلال الهند عن الإنجليز كان الخلاف الجوهري بين المسلمين والهندوس حول المبدأ الأساسي الذي يجب أن يكون عليه دستور الهند المستقلة. فالأكثرية الهندوسية تتمسك بما تسميه المبدأ القومي العام واندماج الأكثرية والأقلية في أمة واحدة يحكمها دستور واحد، ويطبق فيها مبدأ الانتخاب العام. وأما الكتلة الإسلامية فتتمسك بمبدأ الضمانات الخاصة، وهي بتعدادها البالغ ثمانين أو تسعين مليونا لا تعتبر نفسها أقلية بل وحدة قومية وسياسية قائمة بذاتها، ولكنها إزاء تفوق الهندوس الساحق من الناحية العددية تعارض في مبدأ الاندماج القومي؛ لأنه يعني في نظرها الوقوع تحت نير الهندوس، وهذا ما حدث بالفعل حيث اتخذت الحكومات الهندوسية ضدهم خطة سافرة من الاضطهاد المنظم في سائر المرافق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وأرغموا المسلمين في أكثر من ولاية على مراعاة بعض الطقوس الهندوسية، وإزاء ذلك ظهرت الدعوة إلى وجوب استقلال الولايات الهندية التي تضم أكثريات مسلمة في كتلة جغرافية وسياسية موحدة (وهذه الولايات تقع في الشمال الغربي للهند)، ومنذ سنة ١٩٣٣م، أخذ أحد الزعماء المسلمين وهو السيد رحمت علي المحامي يدعو إلى ذلك.

وبذلك نشأت دولة باكستان (والتي تعني باللغة الأوردية أرض الطهر) عام ١٩٤٧ على يد محمد علي جناح كدولة مستقلة للمسلمين. وظل العداء بينها وبين الهند مستمرًا حتى اليوم.

تجاهل الهندوس هوية المسلمين:

كان إصرار الأكثرية الهندوسية على تطبيق المبدأ القومي العام وما يعنيه من اندماج الأقلية مع الأكثرية في أمة واحدة يحكمها دستور واحد ؛ السبب الرئيس وراء استقلال الولايات ذات الأغلبية الإسلامية (الباكستان) عن الهند، ولوجود أعداد كبيرة من المسلمين تصل إلى ٢٠٪ من سكان الهند من المسلمين فقد أخذ غاندي يدعو إلى الوحدة الوطنية بين الهندوس والمسلمين طالباً من الأكثرية الهندوسية احترام حقوق الأقلية المسلمة، فقادت دعوته هذه أحد المتعصبين الهندوس من التنظيم السري لحزب بهاراتيا جاناتا إلى اغتياله عام ١٩٤٨ بزعم تسامحه مع المسلمين الهنود.

وإذا كان حزب بهاراتيا جاناتا قد استباح قتل غاندي الزعيم الهندوسي بزعم الدعوة إلى التسامح مع المسلمين الهنود، فلا عجب أن يبطش بالمسلمين عند وصوله للحكم برئاسة ناريندرا مودي، فقد كان مودى منذ صباه عضوًا في "فيلق المتطوعين الوطنيين"، وهو التنظيم السري لحزب بهاراتيا جاناتا الذي اغتال المهاتما غاندي.

وفي عام ٢٠١١م حينما كان ناريندرا مودى رئيسا لوزراء ولاية جوجارات، أشعلت توجهاته العنف الطائفي راح ضحيته ألف هندي مسلم، وصفهم مودى بأنهم جراء (كلاب صغيرة) تدهسها السيارات؟!!!. ومنذ تولى مودى رئاسة الوزراء في الهند عام ٢٠١٤،

وحكومته تواصل التمييز ضد الأقلية المسلمة، حيث أخذت منحى طائفيًا، امتزج فيه التعصب الديني والقومي الذي يتبناه الحزب الحاكم، وامتد العنف إلى مناطق عديدة بالهند، ووصل الأمر إلى تفجير المساجد بما فيها من المصلين وقتل ما يزيد على ألف شخص من المسلمين. وتقوم الجماعات المتطرفة بالاعتداءات الدائمة على المسلمين والتي تصل لحد الاختطاف والقتل (قتل على الهوية).

كما ظهر اضطهاد المسلمين حينما وافقت السلطات على بناء معبد هندوسي على أنقاض مسجد تم هدمه في عام ١٩٩٢م من قبَل الهندوس.

وتزايد هذا العنف بعد تعديل قانون الجنسية الهندية، والذي حول الهند من دولة علمانية إلى دولة هندوسية (دينية). فهذا القانون منح للأقليات الدينية من البوذيين والمسيحيين والهندوس والبارسيين والسيخ من ثلاثة دول مجاورة هي باكستان وأفغانستان وبنغلاديش، الذين عاشوا في الهند قبل عام ٢٠١٥م الجنسية الهندية، في حين استثنى هذا القانون المسلمين الذين يبلغ عددهم ما يقرب من ٢٠٠ مليون نسمة من سكان الهند.

وأصبح على المسلمين في الهند الحصول على أي وثائق تثبت وجودهم لفترة طويلة في الهند، وذلك بعدما طالبتهم السلطات بهذه الإثباتات، ومن لا يملكها يعتبر أجنبيًا حتى لو لم يكن يملك جنسية أخرى. ومن لا يمكنه إثبات هويته الهندية، ينتهي به الأمر إما في مركز احتجاز، وإما عليه الاختباء من السلطات مدى الحياة، وبتطبيق هذا القانون أصبحت المواطنة لكل الأقليات ما عدا المسلمين.

وفي أغسطس ٢٠١٩م، ألغت سلطات الهند الحكم الذاتي في كشمير المنطقة الوحيدة ذات الغالبية المسلمة في البلاد والذي كانت تتمتع به منذ استقلال الهند.

الفكر اليميني المتطرف ومحنة المسلمين بالهند:

ومنذ أن أصبح ناريندرا مودى رئيسا لوزراء الهند وهو يعمل على الترويج لخطاب كراهية وعداء بين الهندوس والمسلمين، للإفادة منه في صندوق الانتخابات. حيث يقدم مودي نفسه كزعيم للأغلبية الهندوسية، وجعل همه الحد من حضور ونفوذ وثروة الأقلية المسلمة.

ونتيجة ذلك انتشر خطاب الكراهية الذي يحرض على الأسر المسلمة، ونتج عن ذلك وقوع اعتداءات على ممتلكات المسلمين ؛ ودور عبادتهم.

كما وقعت أعمال عنف ضد المسلمين وصلت إلى حد القتل.

وما يجنيه مسلمو الهند اليوم نتيجة لتقاعس ملوكهم المسلمين عن نشر الإسلام بين الوثنيين الهنود واستنقاذهم من براثن الشرك، بل ونتيجة تخلي بعض حكامهم عن عقيدتهم وابتداعهم خليطا بين الإسلام والهندوسية حفاظًا على عروشهم، فلم ينجحوا في الحفاظ على عروشهم بل زال ملكهم، وضاع دينهم فلا دينهم صانوا ؛ ولا دنياهم أدركوا.

وما يملأ القلب حزنًا وكمدًا أن هذا العدوان السافر على مسلمي الهند يتم في ظل صمت مريب من الحكومات الإسلامية، والتي لم تنكر على المتطرفين الهندوس سُوء صنيعهم، وهو ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ، قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن ؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت. (أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام).

نسأل الله السلامة والعافية، وأن يحفظ إخواننا المسلمين في كل مكان، والحمد لله رب العالمين.

نظرات في زواج التحليل (١)

المقصد من عقد الزواج

إعداد د. محمد عبد العزيز

«ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ» (سبأ: ١)، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فقد جعلت هذا المقال في مقدمة تمهيدية مهمة، وثلاث مسائل: أما المقدمة التمهيدية فهي في بيان المقصد من عقد الزواج. وهي التي نفرد لها هذا المقال القصير.

والمسائل الثلاث هي:

المسألة الأولى: بيان المراد بزواج التحليل.

المسألة الثانية: أنواع زواج التحليل الواقعة بين الناس.

المسألة الثالثة: حكم زواج التحليل.

المقدمة التمهيدية: بيان المقصد من عقد الزواج.

من أهم مقاصد الزواج العليا: عمران الأرض وحفظ النسل، ومن أجل تحقيق ذلك المقصد خلق الله تعالى في الناس الغرائز التي يسعون لإشباعها، وهذه الغرائز ترتبط بالجنس الحيواني كله، فكل إنسان ينزع إلى الاتصال بالنوع الآخر؛ ليحقق الإشباع الجنسي والروحي الذي ينقصه، قال تعالى: «وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الروم: ٢١).

فإذا ما حصل بينهما الاتصال الجنسي ورويت هذه الرغبة الغريزية جعل الله بينهما الولد وهو مطلب فطري، يطلبه بنو آدم ويسعون إليه، وهذا الميل والنزوع الغريزي في النوع الإنساني حقيقة لا يمكن إنكارها، بل وهو مطلب من المطالب التي تتحقق به سعادة الزوجين فالأمومة مطلب غريزي تسعى لتحقيقه كل امرأة وكذلك الأبوة مطلب فطري يسعى لتحقيقه الرجل قال تعالى: «وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» (الفرقان: ٧٤)

ولذا فإن هذا المطلب إذا لم يتحقق فإن كلًا من الزوجين يسعى إليه حثيثا، وقد يدخله من الهم والحزن الكثير، وقد يسعى إلى طلب العلاج الطبي إن رأى أنه يحقق له هذا المطلب، حتى إن الله تعالى جعل الولد منه هبة يمتن بها على عباده، قال تعالى: «لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ» (الشورى: ٤٩، ٥٠).

والله تعالى قد هذَّب هذه الغرائز، وجعل لها التشريعات المنظمة لها، وجعل فيها تكاليف واختبارًا للثقلين الإنس والجن.

فشرع الزواج وجعل له أحكامًا تخصه، وجعل في كل حكم من أحكامه أركانًا لا يقوم إلا بتحققها، وشروطا لا ينعقد إلا بتوفرها، وموانع لا يصح إلا بانعدامها، وآدابًا لا يحقق الزواج مقصده إلا بمراعاتها.

ومن أهم مقاصد الزواج: تحقق السكن والمودة بين الزوجين، وطلب الولد الذي يمتد به ذكر الإنسان، ويتحقق به العمران، قال تعالى: «هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا

«لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ» (الأعراف: ١٨٩).

إذن فهذه أهم المقاصد الفرعية لعقد الزواج:

١- تحقيق السكن والمودة بين الزوجين.

٢- إعفاف الزوجين بإرواء الغريزة الجنسية بالحلال الطيب.

٣- طلب الولد الصالح.

فإذا لم يتحقق السكن والمودة وحل مكانهما الشقاق والخلاف واستحالت العشرة بين الزوجين، واستحال الميل الغريزي إلى نفرة، ولم يكن لرابط الأبوة والأمومة القوة التي تربط بين الزوجين فقد شرعَ الفراق سواء كان ذلك بطريق الطلاق أو الخلع أو الفسخ، ولكل منها أحكام وتشريعات منظمة شرعها الله رب العالمين.

ومن أكثر طرق الفُرقة شيوعًا بين المتنافرين من الأزواج الطلاق؛ لأنه لا يفتقر إلى حكم قاض يفرق بين الزوجين بعكس الخلع والفسخ، وقد جعل أمره إلى الزوج صاحب القوامة في الأسرة.

والله تعالى جعل في تشريع الطلاق أحكامًا وآدابًا، ليس هذا محل ذكرها، على أنها قد سبقت في عدد من المقالات.

على أن الذي يهمنا الإشارة إليه منها في هذا المقال أن الله تعالى قد جعل للزوج ثلاث تطليقات:

الطلقة الأولى والثانية منهما جعل الله للزوج فيهما فسحة، فجعل له بعد كل تطليقة منهما عدة تمتد إلى ثلاثة قروء (حيضات) تكون فيها المرأة رجعية، فيعيدها إلى ذمته دون افتقار إلى موافقة الزوجة، ووليها العاقد، ودون مهر جديد، ولا شهود، بل يكفي فيها مجرد إعادتها إلى ذمته مع الإشهاد على الرجعة لتحفظ.

فإذا انقضت العدة ولم تظهر رغبة الزوج في استمرار الحياة الزوجية بانت منه المرأة بتطليقة بينونة صغرى، فكان أمرها إليها، فلا يستطيع الزوج زواجها مرة أخرى إلا كخاطب من الخطاب.

عدد مراجعات الزوج لزوجته بعد طلاقها:

فإذا أعاد الزوج المرأة إلى عصمته في عدتها إن كانت رجعية، أو تزوجها بعقد جديد بعد بينونتها منه بينونة صغرى لم يكن له فعل ذلك إلا مرتين، قال تعالى: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ» (البقرة: ٢٢٩).

فإذا طلقها الثالثة بعد رجعتها الثانية بانت منه بينونة كبرى لا تحل له بعدها إلا أن تتزوج من غيره زواج رغبة، فإذا استحالت العشرة بينها وبين زوجها الجديد فطُلِّقَتْ منه طلقة بائنة حل لزوجها الأول أن يعود إليها خاطبًا من الخطاب، ويكون زواجها من غيره هادمًا للتطليقات السابقة له، قال تعالى: «فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (البقرة: ٢٣٠).

لكن كثيرًا من الأزواج استهان بهذه الأحكام فأساء التصرف فيما شرعه الله عز وجل وجعل أمره إليه لقوامته على هذه الأسرة وهذا الكيان، فلم يُراع في عقد الطلاق أحكامًا ولا تشريعات وآدابًا، فتراه حينًا يُوقعه بدعيًا في زمانه، فيُطلق في حيض أو في طُهر جامَع فيه، وحينًا يُوقعه بدعيًا في عدده فيجمعه فيوقعه ثلاثًا، بل وقد يغلظ فيه فيظاهر ويطلق ويحرم في آنٍ واحد.

وحينًا آخر يجعل عقد الطلاق يمينًا لإلزام النفس بفعل أو لنهيها عن فعل، بل ويبلغ به السفه أن يجعله لإلزام غيره بفعل أو لنهيه عن فعل، وحينًا آخر يجعله عقوبة وسوطًا يعاقب به المرأة أو أهلها إذا ما ظن في نفسه خطأها أو خطأهم، والله تعالى ما جعل عقد الطلاق لشيء من ذلك.

وعندها تقع منه الندامة على هذا التفريط، بل وربما لا يدرك عظم ما فعل وأنه حطم بناء أسرة سعى إليها، وفرّق شمل أحبّة ربطتهم علاقات الزوجية أو الأبوة أو البنوة إلا بعد أن يضيق عليه الشرع بطلقته الثالثة، فيذهب عندها طالبًا نتن التحليل باحثًا عن التيس المستعار.

وهذا ما سوف نتناوله في مقال قريب إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

من حديث القرآن عن سيد الأنام

إعداد الشيخ: صلاح عبد الخالق

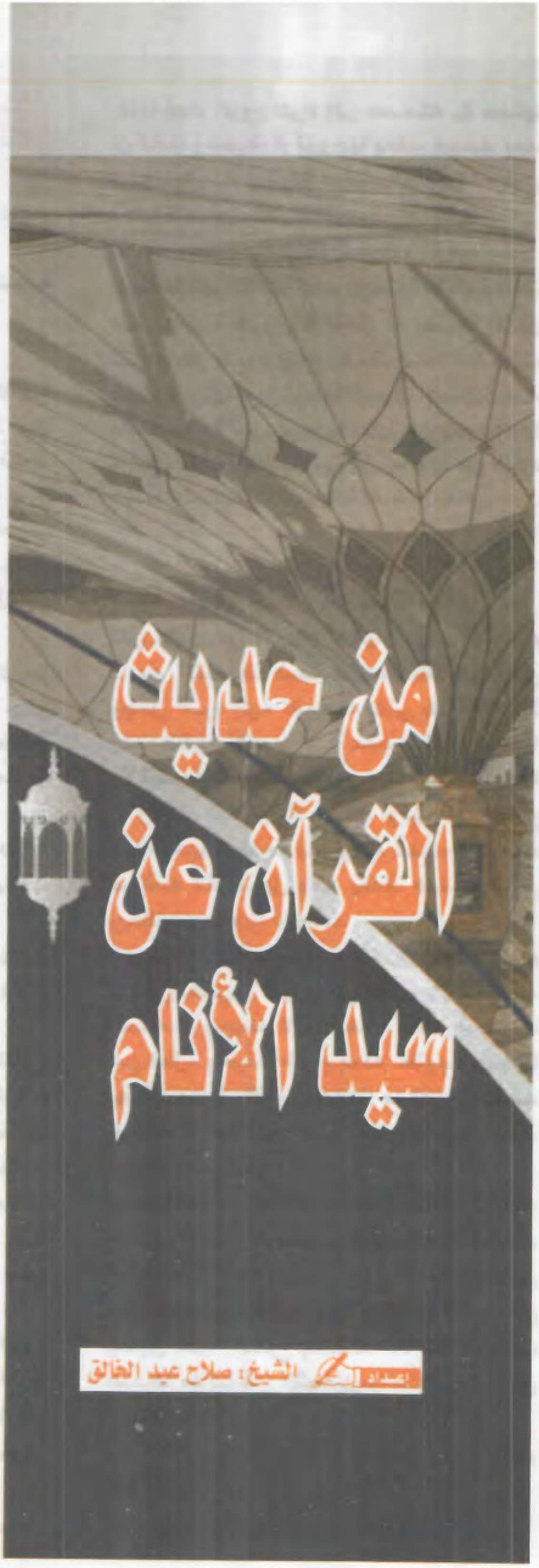

الحمد لله على نعمة الإسلام والصلاة والسلام على سيد الأنام

من هو سيد الأنام؟ عن أبى هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰه صلي اللّٰه عليه وسلم: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» صَحيح مسلم (٢٢٧٨).السَّيِّدُ هُوَ الَّذي يَفُوقُ قَوْمَهُ فِي الْخَيْرِ وهو صلي اللّٰه عليه وسلم. سَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.(شرح النووى (١٥/٣٧)-الأنام :قال تعالى :« وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ » (الرحمن :١٠).

الأنام:الْجِنُّ وَالْإِنْسُ و كُلُّ مَا دَبَّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.(تفسير القرطبى (١٧/١٥٥)) فرسول اللّٰه صلي اللّٰه عليه وسلم سيد الإنس والجن وكل ما يَدب على الأرض فى الدنيا والآخرة -حدثنا اللّٰه عز وجل فى قرآنه العظيم حديثًا طويلًا ومشوقًا عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم هذا بعض منه مثلًا :

أولًا :تزكية الرحمن لحبيب الأنام صلى الله عليه وسلم :

- اللّٰه تعالى أعلى لسيد ولد آدم ذكره، وطهره ورفعه وكرَمه على جميع العالمين، وزكاه جل وعلا في كل شيء

١- زكاه في عقله، فقال سبحانه: « مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ » (النجم :٢)

٢-زكاه في بصره فقال سبحانه: « مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ » (النجم :١٧) .

٣-زكاه في فؤاده فقال سبحانه: « مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ » (النجم :١١) .

٤-زكاه في صدره فقال سبحانه: « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ » (الشرح :١)

٥-زكاه في ذكره، فقال سبحانه: « وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ » (الشرح :٤) .

٦-زكاه في طهره، فقال سبحانه: « وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ » (الشرح :٢) .

٧-زكاه في علمه، فقال سبحانه: «عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ» (النجم: ٥).

٨-زكاه في صدقه، فقال سبحانه: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ» (النجم: ٣).

٩-زكاه في حلمه، فقال: «بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (التوبة: ١٢٨).

١٠-وزكاه كله، فقال: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم: ٤).

ثانيا: من صفات سيد الأنام:

١-نور للهداية من الظلمات إلى النور-قال تعالى: «يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ⑮ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (المائدة: ١٥-١٦).

«قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّه» ربكم «نُورٌ» هو رسولنا محمد صلي الله عليه وسلم «وَكِتَابٌ مُبِينٌ» وهو القرآن. أيسر التفاسير (١/ ٦١٠).

-الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: يَهْدِي بِهِ رَاجِعٌ إِلَى الْكِتَابِ وَإِلَى النُّورِ لِكَوْنِهِمَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ أَيْ مَا رَضِيَهُ اللَّه، وَسُبُلَ السَّلَامِ طُرُقُ السَّلَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ، الْمُوَصِّلَةِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ، الْمُنَزَّهَةِ عَنْ كُلِّ آفَةٍ. (فتح القدير (٢/ ٢٨))

٢- رحمة للعالمين: قال تعالى: «وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ» (الأنبياء ١٠٧) وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ «يا محمد» إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ «أي رحمة للجن والإنس، والوحش والطير؛ رحمة للمؤمنين: بإنجائهم يوم الدين، ورحمة للكافرين: بإنجائهم في الدنيا من نزول العذاب؛ الذي كان يلحق بمكذبي الأمم السابقة. (أوضح التفاسير (١/ ٣٩٩)

٣-نعم الهدية ونعم المعلم: قال تعالى: «لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ» (آل عمران: ١٦٤). فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أعظم نعم الله على العالم أجمع يعلمهم ويربيهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى العلم والحكمة

> سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أعظم نعم الله على العالم أجمع يعلمهم ويربيهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى العلم والحكمة.

-عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: رَسُولُ اللَّه صلي اللَّه عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا» رواه مسلم(١٤٧٨).(معنتا ولا مُتعنتا) أي مشددا على الناس وملزما إياهم ما يصعب عليهم ولا متعنتا أي طالبا زلتهم وأصل العنت المشقة

ثالثا: من حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم على أمته في القرآن:

١-الإيمان به صلي الله عليه وسلم: حكمه: فَالْإِيمَانُ بِالنَّبِي مُحَمَّدٍ صلي الله عليه وسلم وَاجِبٌ مُتَعَيِّنٌ لَا يَتِمُّ الإيمَانُ إِلَّا بِهِ. وَلَا يَصِحُّ الإِسْلَامُ إِلَّا مَعَهُ. (الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٩))-قال تعالى: «قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (الأعراف: ١٥٨)، وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ» (النساء: ١٣٦).

معنى الْإِيمَانُ به صلي اللهِ عليه وسلم: هُوَ تَصْدِيقُ نُبُوَّتِه وَرِسَالَةِ اللَّه لَهُ، وَتَصْدِيقُهُ فِي جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ وَمَا قَالَهُ. وَمُطَابَقَةُ تَصْدِيقِ الْقَلْبِ بِذَلِكَ شَهَادَةُ اللِّسَانِ بِأَنَّهُ

رَسُـــولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم (الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٠))

٢-طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها السعادة :طاعته صلي الله عليه وسلم فى كل ما أمر: وُجُوبُ طاعَته فَإذَا وَجَبَ الْإيمانُ به وتَصْديقُهُ فيَماجاءَ به.وَجَبَتْ طاعَتُهُ.لأنَّ ذَلكَ ممَّاأتى به

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ »(الأنفال: ٢٠).(الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٦))

- قال تعالى:«وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ».(الأحزاب :٧١)

-عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ اللَّه صلي الله عليه وسلم، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلونَ الجَنَّةَ إلَّا مَنْ أبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، وَمَنْ يأبَى؟ قَالَ:«مَنْ أطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أبَى»صحيح البخارى (٧٢٨٠)

-الفوز العظيم بالجنة وصحبة النبى صلي الله عليه وسلم :قال تعالى:«وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا » (النساء :٦٩).التعاسة والجحيم فى معصيتة صلي الله عليه وسلم: قال تعالى :« يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا » (الأحزاب :٦٦).

٣-محبته صلي الله عليه وسلم أكثر من كل المخلوقات :قال تعالى:« قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » (آل عمران :٣١) . فى صحيح مسلم (٤٤) بَابُ وُجُوب مَحَبَّة رَسُول اللَّه صلي الله عليه وسلم أكْثَرَ منَ الْأَهْل وَالْوَلَد، وَالْوَالد والنَّاس أجْمَعينَ .عَنْ أنَس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلي الله عليه وسلم: " لَا يُؤْمنُ عَبْدٌ حَتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْه منْ أهْله وَمَاله وَالنَّاس أجْمَعينَ "

> من اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ عَلمَ أنْ حَقَّ النَّبيِّ صلي الله عليه وسلم آكد عَلَيْه من حَقِّ أبيه وابنه والنَّاس أجْمَعينَ لأنْ به صلي الله عليه وسلم استنقذنا من النار وهُدينا من الضلال .

-مَنِ اسْتَكْمَلَ الْإيمَانَ عَلمَ أنَّ حَقَّ النَّبيِّ صلي الله عليه وسلم آكَدُ عَلَيْه منْ حَقِّ أبيه وَابْنه وَالنَّاس أجْمَعينَ لأنَّ به صلي الله عليه وسلم اسْتُنْقذْنَا منَ النَّار وهُدينَا منَ الضَّلال.(شرح النووى (٢/ ١٦)

٤-توقيره ونصرته صلي الله عليه وسلم:-قال تعالى:« إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ⑧ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا »(الفتح: ٨- ٩) .تعزروه وتوقروه:أي ينصروه ويعظموه وهذا لله وللرسول وتسبحوه بكرة وأصيلا :أي الله تعالى.(أيسر التفاسير (٥/ ٩٧).

-« وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ » أي:تعزروا الرسول صلي الله عليه وسلم وتوقروه أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه. (تفسيرالسعدى (٧٩٢)

٥- الصلاة على النبى صلي الله عليه وسلم:حكمها :تَجبُ الصلاة على النبى صلي الله عليه وسلم كُلَّمَا ذُكرَ.إنَّهُ الْأحْوَطُ.(فتح البارى (١١/ ١٥٣).

-قال تعالى :« إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا »(الأحزاب :٥٦)«صَلُّوا عَلَيْه»اقتداء لصلاة بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم

وزيادة في حسناتكم، وتكفيرًا من سيئاتكم(تفسيرالسعدى صـ٦٧١)

٦-الإقتداء النبى صلي الله عليه وسلم:قال تعالى :« لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » (الأحزاب :٢١).هَذه الْآيَةُ الْكَريمَةُ أصْلٌ كَبيرٌ في التَّأسِّي برَسُول اللَّه صلي الله عليه وسلم في أقْوَاله وَأفْعَاله وَأحْوَاله.(تفسير ابن كثير (٦/ ٣٥٠)). فى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة لمن كان يرجو السعادة فى الدنيا ورحمة الله ونعيم اليوم الآخر

باب السنة

الحلقة الثالثة

مرض الغلو بين خوارج الماضي ومرضى العصر

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق

نائب المشرف العام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإننا قد تفضل الله علينا في شهرنا الخالي أن ابتدأنا شرح حديث ذي الخويصرة المشهور، وشهرته جاءت من كونه علاجًا ناجعًا لمرض مستوطن فاجع أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعه فوقع؛ فصار دليلاً من دلائل النبوة، ووصف فيه العلاج فصار ترياقًا لما أصاب الأمة، وقد أسلفنا من ذلك ما تيسر ونستعين الله فيما يتيسر.

الحديث:

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: بيْنما نَحْنُ عنْدَ رَسولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وهو يَقْسِمُ قَسْمًا، أتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ- وهو رَجُلٌ من بَنِي تَمِيمٍ- فَقالَ: يا رَسولَ اللَّه، اعْدِلْ، فَقالَ: ويْلَكَ! ومَن يَعْدِلُ إذَا لَمْ أعْدِلْ؟! قدْ خِبْتَ وخَسِرْتَ إنْ لَمْ أكُنْ أعْدِلُ. فَقالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّه، ائْذَنْ لي فيه فأضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقالَ: دَعْهُ، فإنَّ له أصْحَابًا يَحْقِرُ أحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إلى نَصْلِهِ فلا يُوجَدُ فيه شيءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى رِصَافِهِ فَما يُوجَدُ فيه شيءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى نَضِيِّهِ- وهو قِدْحُهُ- فلا يُوجَدُ فيه شيءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى قُذَذِهِ فلا يُوجَدُ فيه شيءٌ، قدْ سَبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أسْوَدُ، إحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، ويَخْرُجُونَ علَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ. قالَ أبو سَعِيدٍ: فأشْهَدُ أنِّي سَمِعْتُ هذا الحَدِيثَ مِن رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأَشْهَدُ أنَّ عَلِيَّ بنَ أبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وأَنَا معهُ، فأمَرَ بذلكَ الرَّجُلِ، فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ به، حتَّى نَظَرْتُ إلَيْهِ علَى نَعْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الذي نَعَتَهُ.

أولا: التخريج:

متفق عليه وسبق تخريجه.

ثانيا: الشرح: (ينظر: في العدد السابق تفضلاً).

ثالثًا: مما يستفاد من الحديث (إضافة لما أسلفناه في العدد السابق):

١- مرض العُجب المفضي للغلو، وقد أسلفنا تفصيله فليراجع تفضلاً للأهمية.

٢- في الحديث عَلامةٌ من عَلامات النُّبوَّة؛ إذ تحقق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من ظهور هؤلاء الغالين وجرأتهم على رابع الخلفاء الراشدين سيدنا علي رضى الله عنه وعنهم أجمعين، بل وجرأة جدهم ذي الخويصرة قبل ذلك على سيد المرسلين بمروقهم من الدين.

٣- فيه بَيانُ أنه مع تنوع أشكال المخالفة فإن من سمات المخالفين المشتركة الخروج على هدي سيد المرسلين بأشكال شتى تناسب أشكال المخالفة، مع التدليس والتلبيس على متبعيهم من مقلديهم الغالين في قناعتهم بأفكارهم وما يفهمون، وليس أدل على ذلك- وليس سرًا- ما يخرج علينا به المخالفون ليلاً ونهارًا سرا وجهارًا من إنكارهم للسنة حينًا، وخروجهم على هدي رسولنا صلى الله عليه وسلم حينًا آخر، ثم التعدي على جناب أصحابه سادة الأمة أحايين أخرى، وثمة فئات أخرى من فئات المخالفين في الفضائيات يهرفون بما لا يعرفون فما تركوا بيتًا إلا وفيه يعيثون ولا واديًا إلا وفيه يهيمون، وفئات أخيرة مريضة مصيبتها أنها محسوبة على الملتزمين لكنها رفعت عقيرتها بلمز وهمز وتطاول وتجاسر على العلماء العاملين والسادة العالمين لا يرقبون في مؤمن إلًا ولا ذمة، وكأنهم صاروا قضاة حاكمين، وعمومًا كلها أمراض فقط تتعدد صور غواية الشياطين؛ فالله حسبنا يقوض ما يدبرون.

٤- وفي الحديث من حلم النبي صلى الله عليه وسلم وصبره على الأذى ما هو ظاهر لكل متبع له ومتأس، فهلا يصبر الدعاة على المخالفين وقد حلم نبينا على هؤلاء الغلاة الجاهلين الخارجين مراعاةً لمصالح الدعوة ومفاهيم الدين. إن أشد الأمراض فتكًا في جسد أمتنا المخلوق على الفطرة النقية داء الاختلاف الذي يرفع رايته كل مريض ثم يسميه بمسمى يسوّغه به لنفسه ويصدره به للآخرين ولو توقف لحظة أمام مقام النبوة والسادة الأصحاب والتابعين لوجد في سيرة طالب الجنة ما يغنيه عن هذا الشقاق وما يحتم عليه مشروع الوفاق وأقول مشروعه حتى لا يصار إلى حطب الليل وغثاء السيل.

٥- إن للمؤلَّفة قلوبهم حقًا من الزكاة معلومًا وتأليف قلوب المبتدئين بالهدايا ليس بمذموم بل هي سنة مهجورة فلا يطعن بعد ذلك على إيمانهم أن قلوبهم بالهدايا تألفت وعندنا فيه سُنة، ففي الصحيح عن أنس (أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم غَنَمًا بيْنَ جَبَلَيْنِ، فأعْطَاهُ إيَّاهُ، فأتَى قَوْمَهُ فَقالَ: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءَ ما يَخَافُ الفَقْرَ، فَقالَ أَنَسٌ: إنْ كانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ ما يُرِيدُ إلَّا الدُّنْيَا، فَما يُسْلِمُ حتَّى يَكونَ الإسْلَامُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَما عَلَيْهَا) (رواه مسلم ٢٣١٢).

٦- وفيه أن من صفات الخوارج سوء الأدب، والجرأة مثلما كان مع مقام النبوة فلقد رأينا من يتهم صاحب المقام الأسمى بحظ من النفس، ثم يخطب فيه وكأنه للنبي في وعظ ودرس، هذا وإن من تجرأ على الرسول صلى الله عليه وسلم فإن ما دون رسول الله من باب أولى وليس ما نراه اليوم ببعيد من جرأة نوابت من الشباب ما استقام لهم عود ولا اشتد لهم ساعد ولا عرف منهم معروف ولا من البذل للدين من خصلة غير أنهم جعلوا الجرأة على الأولياء وتجريحهم للعلماء

أول طريق السالكين، وليسوا بذلك في أفعالهم مبتدعين فليس واحد من هؤلاء إلا وله شيخ هو منه صورة إذا عدنا بالشيخ القهقرى بضع خطوات.

٧- وفيه أن من صفاتهم: الحكم على النيات والسرائر، وهي أمر غيبي لا يطّلع عليه إلا الله عز وجل، فقد تجرأ جدهم الأكبر وحكم على فعل النبي صلى الله عليه وسلم بعدم الإخلاص وحاشاه، ولا يخفى أن الإخلاص أمر غيبي لا يعلمه إلا علام الغيوب ثم تجد من خلوفهم الجدد من رفع راية جده فتجده قائم على أفعال الناس بحكمه ومفسر لها بهواه وفهمه.

٨- وفيه أن من سماتهم قلة العلم مع تعالمهم بضده وهل أوقعهم فيما يفعلون إلا الجهل المركب فينظرون إلى بعض النصوص ويهملون الأخرى، أو ينظرون إلى حكم لا يفهمون مناطه هذا على أحسن الفروض إن صحت النوايا. ومن آيات ذلك أن من عجيب استدلالاتهم أنهم قد استدلوا بهذا الحديث الذي هو عين الإنكار عليهم استدلوا به في جواز الإنكار على الولاة جهرة، ولا يقال في مثل هذه إلا كما قال القائل:

أوردها سعدٌ وسعدٌ مشتملْ
ما هكذا يا سعدُ تورد الإبلْ

٩- ومن غلوهم وظلمهم وقناعتهم بأنفسهم وغرورهم: حصرهم نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحكام والولاة، فلا يذكر من عيوبه عيبًا، ولا يحمل على كاهله من رعيته حملاً؛ فعيوب الناس في نظره كبائر وكبيرته في عقله صغائر مغفورة وربما حسنات مبرورة.

١٠- وفي الحديث خطورة الكلمة وتأكيد أن الخروج كما يكون بالسيف يكون بالكلمة، بل إن فتنة الخروج بالكلمة أشد، وبيانه:

أ- إن الخارج بالسيف مصيره الهلاك، ويستراح من شره فور ظهور بدعته، أما الثاني فإنه يؤلّب الناس ليلاً ونهارًا سرًا وجهارًا، وربما لا تُدرك فتنته إلا بعد اشتعال نيرانها.

ب- إن الغالب على الناس تهيب الخروج بالسيف، وأما الخروج بالكلمة فأمرٌ يسير يقدر عليه كل فارغ مريض.

ج- إن الخروج بالسيف لا يبدأ إلا بعد الخروج بالكلمة؛ إذ الفكر والاعتقاد طريق للقتل والإفساد.

١١- وأخيرًا فيه الفارق العظيم بين أهل التقى وأهل البدع في التعامل مع السادة العلماء وولاة الأمور والخلفاء؛ فأهل السنة وسط بين الغلاة والجفاة وبين الإفراط والتفريط وبين الأمن والإياس، وليراجع في هذه الفائدة مقال ماتع نوره ساطع في الشهر الخالي عنوانه (هذه عقيدتنا) لفضيلة الدكتور نائب الرئيس العام.

١٢- وكذلك من سماتهم: سرعة مروقهم من الدين وانحرافهم عن هدي سيد المرسلين مهما تظاهروا بكثير عبادة أو عميق زهادة وغالب عبادتهم لا تخلو كذلك من غلو وانحراف وجهل وإجحاف.

وعليه فإن ميزان تقدير ظواهر العباد في الدنيا هو الكتاب والسنة، وما عليه صحيح فهم سلف الأمة فلا اغترار بكثير صلاة ولا انخداع بطول صيام مع كامل التقدير للعُبَّاد وجميل المحبة والتأسي بالصالحين الزهاد طالما وافقوا الهدي وتأسوا بسيد الخلق.

وفي هذا القدر كفاية، وللحديث صلة إن شاء الله، ونسأل الله القبول.

النافلة في مسيرة الدكتور سعيد صوابي (رحمه الله) تعالى وسيرته الحافلة

إعداد: **د. عماد محمد علي عيسى**

المفتش بوزارة الأوقاف

الحمدُ لله الذي قدّر الأرزاق وكتب الآجال والأعمار، والصلاة والسلام علي سيد الأبـرار نبينا محمد عليه صلوات الله وسلامه ما دام الليل والنهار، وبعد.

فإن الدكتور سعيد صوابي رحمه الله ضرب مثلًا شرودًا ومنقبة بكرًا في شخصيته الفذّة بما حباه الله من جميل الأوصاف، وجليل الألطاف حتى صار قدوة في أبواب العلم والعمل والأدب والخلق، وأصبح سيرة عطرة.

مولده:

وُلِـدَ بقرية بني صالح، مركز بلبيس محافظة الشرقية ١٩٥٥/٢/١٦م، ونشأ في بيت دين وصلاح.

مسيرته العلمية:

حفظ القرآن الكريم قبل بلوغه العاشرة، وحصل على الإجـازة في القـراءات السبع في سنٍ مبكرة، والتحق بالأزهر وحصل على الثانوية عام ١٩٧٣م ثـم التـحق بكلية أصـول الـديـن وحصـل على الليسانس ١٩٧٧م بتقدير عام جيد جدًا، وكان ترتيبه الثاني على الدفعة، ثم عمل مدرسًا عدة أشهر بمعهد شبرا النخلة الإعدادي الأزهـري، ثم عُيّن معيدًا بقسم الحديث بكلية أصول الدين سنة ١٩٧٨م، ثم حصل على الماجستير بتقدير ممتاز عـام ١٩٨٤م، ثم الـدكـتـوراه عـام ١٩٨٧م بمرتبة الشرف الأولى، ثم درّس بجامعة أم القرى بالطائف من عام ١٩٩١م إلى ١٩٩٧م، ثم عاد إلى مصر ١٩٩٨م ونال درجة أستاذ مساعد سنة ٢٠٠٣م.

حُبُّه للقرآن والعلم:

كـان عالمًا بالسنة النبوية المشرفة، عاملًا بها، مدافعًا عنها، غيورًا عليها، حريصًا على تعليمها لطلبته وتلاميذه، وقد تعلمت على يديه أصول التخريج ودراسة الأسانيد عام ٢٠٠٥م في مرحلة إشرافه عليّ، وقد سافر في التحكيم بالمسابقات الدولية للقرآن الكريم بدولة قطر من عام ٢٠٠٠م إلى عام ٢٠١١ م.

أخلاقه:

كان رحمه الله دائم البِشر، كثير التبسم، متواضعًا باذلا نفسه للناس يمزح مع طلبته المزاح الخفيف الذي يدخل السرور عليهم، محبًا للعطاء، ملازما للسخاء بالهدية التي كان يحملها في يده.

آثاره العلمية:

ترك الشيخ رحمه الله قرابة تسع كتب أشهرها "المعين الرائق في سيرة خير الخلائق" في أربعة أجزاء، وقد شارك في موسوعة نضرة النعيم وأشرف على كثير من الرسائل العلمية وناقشها وخرّج طلابًا كثيرين في مصر والعالم العربي والإسلامي وفي إفريقية وغيرها.

حياته الدعوية:

كـان الشيخ رحـمـه الله شـغـوفًا بـالـدعـوة وقـد مكث يخطب الجمعة والعيدين ويلقي الدروس والمحاضرات في مسجد أبي سعيد الخدري وغيره قرابة ثلاثين عامًا.

أسرته وأولاده:

تزوج الشيخ من زوجته الطيبة السخية أم محمد -حفظها الله- وأخلاقها كأخلاق الشيخ في السماحة والكرم والدعاء لمن يدخل البيت أو ترد عليه في الهاتف، وقد رزق الله تعالى الشيخ ببنت واحدة وثلاثة أولاد: هم الأستاذ: محمد والدكتور/ عبد الرحمن- دكتوراه في الحديث وعلومه- والأستاذ: طارق، وقد خالطت أولاده فوجدتهم على أخلاقه السمحة وما أنكرت عليهم خلقًا ولا دينًا، بل وكلهم يحفظ القرآن ويصلي بالناس.

وفاته:

مرض الشيخ في آخر حياته بالكبد ثم مكث في الرعاية أيامه الأخيرة أربعين يومًا كاملة ثم توفي يوم الجمعة: ١٠ صفر ١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١/٩/١٧م، وصُلي عليه صبيحة السبت في مسجد أبي سعيد الخدري، ثم دفن في مسقط رأسه بقرية بني صالح بالشرقية عقب صلاة الظهر.

اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله من خطاياه بالماء والثلج والـبرد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة
1

غزوة بدر

إعداد **د/ سيد عبد العال**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه.

أما بعد: فما أحوج الأمة لدراسة مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأخذ الدروس والعبر، ولتتعلم منها الآداب الرفيعة، والأخلاق الحميدة، والعقائد السليمة، والعبادة الصحيحة، ومن ثم قال علي بن حسين: "كنا نُعلَّم مغازي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وسراياه كما نعلم السورة من القرآن". وعن إسماعيل بن محمد بن سعد قال: كان أبي يعلمنا مغازي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعدها علينا، وسراياه ويقول: يا بني، هذه مآثر آبائكم، فلا تضيعوا ذكرها. (مختصر تاريخ دمشق: ٢/ ١٨٦).

وها نحن الآن مع أول لقاء مسلح بين فسطاط الكفر والإيمان؛ مع غزوة بدر الكبرى، ويقال لها بدر القتال. وبدر الثانية، وهي الوقعة العظيمة التي فرق الله فيها بين الحق والباطل (الفصول في السيرة (ص: ١٢٨). قال ابن عبد البر: وكانت أشرف غزواته وأعظمها حرمة عند الله وعند رسوله وعند المسلمين غزوة بدر الكبرى، حيث قتل الله صناديد قريش، وأظهر دينه وأعزه الله من يومئذ، وكانت بدر في السنة الثانية من الهجرة لسبع عشرة من رمضان صبيحة يوم الجمعة. (الاستيعاب (١/ ٤٣).

وسوف نعرضها بإذن الله تعالى على مرحلتين

الأولى: نسرد أحداث الغزوة سردًا يصورها في ذهن القارئ إذا اكتملت.

الثانية: نذكر فيها الدروس والعبر؛ ليأخذ المسلمون منها الزادَ في مقارعة الأعداء ومنازلة الخصوم وفي الدعوة إلى الله. (غزوة بدر الكبرى دروس وعبر: ص: ٣).

بين يدي الحدث:

هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن وقف زعماء مكة في وجه دعوته، وما إن وصل إلى المدينة حتى أرسلوا إلى أهل المدينة تهديدًا يقولون فيه: «إنكم آويتم صاحبنا، وإنَّا نُقسم بالله: لتُقاتلُنَّه، أو لتُخْرِجُنَّه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم» (سنن أبي داود (٣٠٠٤) وإسناده صحيح).

وتجاه هذا التحريض أخذ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه جانب الحَيطة والحذر؛ فكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه، وكانوا يحرسون النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل: «والله يعصمك من الناس» فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال: أيها الناس انصرفوا عني؛ فقد عصمني الله عز وجل. (سنن الترمذي

(٣٠٤٦) وحسنه الألباني).

مشروعية القتال:

وفي هذه الظروف أذن الله للمؤمنين في القتال دفاعا عن أنفسهم؛ قال ابن القيم: فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وأيده الله بنصره بعباده المؤمنين الأنصار، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم؛ فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر، وبذلوا نفوسهم دونه، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وكان أولى بهم من أنفسهم، وكانت العرب واليهود قد رمتهم عن قوس واحدة، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة؛ فأذن لهم حينئذ في القتال؛ فقال تعالى: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» (الحج: ٣٩). (زاد المعاد (٣/ ٦٢) قال ابن عباس: هي أول آية أنزلت في القتال. (سنن الترمذي (٣١٧١)، والنسائي (٣٠٨٥) وحسنه الترمذي وصححه الألباني).

فأرسل السرايا وخرج في الغزوات

- لإشعار عدوه بقوة المسلمين وقدرتهم على صد أي اعتداء يتعرضون له.
- وتهديد قريش في قوافلها التجارية إلى الشام.
- واختبار قوة القبائل المحيطة بالمدينة، ومحاولة كسبها بالموادعة أو المحالفة.

ولقد حققت السرايا والغزوات قبيل بدر كثيراً من أهدافها؛ فقد حالف النبي- صلى الله عليه وسلم قبيلة جهينة أكبر القبائل المنتشرة غربي المدينة، وأدرك زعماء مكة أن تجارتهم الرئيسية أصبحت في خطر؛ فصاروا يأخذون الحيطة كلما اقتربوا من المنطقة (النص التاريخي: ٢).

غزوة العشيرة

وفي جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائة وخمسين مقاتلاً؛ لاعتراض قافلة كبيرة خرجت من مكة إلى الشام بقيادة أبي سفيان بن حرب، حتى إذا وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذي العُشيرة تبين له: أن القافلة تجاوزت إلى الشام؛ فأقام فيها مدة وادع خلالها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضَمْرة ورجع إلى المدينة مترقبًا عودة القافلة، وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام (زاد المعاد (٣/ ١٤٩).

وقد أقامت القافلة في الشام إلى نهاية شعبان، بقيادة أبي سفيان ثم اتجهت إلى مكة، ولما اقتربت من الحجاز؛ تحسس الأخبار، فلما بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصده إياه؛ بادر إلى تحويل مسارها إلى طريق الساحل، وفي نفس الوقت أرسل عمرو بن ضمضم الغفاري إلى قريش يستنفرها لإنقاذ قافلتها وأموالها. (السيرة للصلابي (٣٩٣).

وقد كان وقع خبر القافلة شديدًا على قريش، التي اشتاط زعماؤها غضبًا لما يرونه من امتهان للكرامة، وتعريض للمصالح الاقتصادية للأخطار؛ خاصة وأن الصريخ جاءهم بصورة مثيرة جدًا يتأثر بها كل من رآها، أو سمع بها، إذ جاءهم وقد حول رحله وجدع أنف بعيره، وشق قميصه من قُبل ومن دُبر، ودخل مكة وهو ينادي بأعلى صوته: يا معشر قريش: اللطيمة، اللطيمة،- يعني القافلة- أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث، الغوث.

ومع أن أبا سفيان عندما نجا بالقافلة أرسل إلى زعماء قريش رسالة أخبرهم فيها بنجاته والقافلة، وطلب منهم العودة إلى مكة، إلا أن أغلبهم أصر على التقدم نحو بدر من أجل تأديب المسلمين وتأمين سلامة طريق التجارة القرشية، وإشعار القبائل العربية الأخرى بمدى قوة قريش وسلطانها. (السيرة النبوية للصلابي: ٣٩٣).

فنهضوا مسرعين وأوعبوا في الخروج؛ فلم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب، فإنه عوض عنه رجلًا كان له عليه دين، وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي، فلم يخرج معهم منهم أحد (زاد المعاد (٣/ ١٥٤). وقد أشار الحق تبارك وتعالى صفة خروجهم بقوله: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ» (الأنفال:٤٧). (مختصر زاد المعاد (١٤١)، وابن

هشام (٢/ ١٨٦).

موقف أمية بن خلف:

وهذا موقف عجيب يخبرك عما كان عليه القوم من العناد والكبر حيث رفض أمية بن خلف القعود عن هذه الحرب ولكن لماذا؟

لأن سعد بن معاذ قال له يومًا: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنهم قاتلوك! قال: إياي؟ قال: نعم. قال: بمكة؟ قال: لا أدري؛ قال: والله ما يكذب محمد؛ ففزع لذلك أمية فزعًا شديدًا...فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس؛ فكره أمية أن يخرج. فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت، وأنت سيد أهل الوادي، تخلفوا معك. فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذ غلبتني؛ فوالله لأشترين أجود بعير بمكة.(البخاري (٣٦٣٢و٣٩٥٠). يعني: فاستعد عليه للهرب إذا خفت شيئًا.(فتح الباري (٧/ ٢٨٤).

فتأمل قول أمية «والله ما يكذب محمد» وهو صريح في التصديق القهري من أمية لأخبار النبي صلى الله عليه وسلم! فلم الحرب إذا؟! ولكنهم «جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا»

وقد أكرهوا على الخروج معهم من كان يميل إلى المسلمين كالعباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث، وطالب بن أبي طالب، وعقيل ابن أبي طالب. (دلائل النبوة (٣/ ١٠٥).

عدة جيش المشركين:

عند ذلك تحرك جيش المشركين في ألف رجل (صحيح مسلم (١٧٦٣). ومائة فرس وعدد كبير من الإبل يقودهم أبو جهل بن هشام ويحمل ألويتهم أبو عزيز بن عمير والنضر بن الحارث وطلحة بن أبي طلحة وكلهم من بني عبد الدار، ومعهم القيان والدفوف وكانوا ينحرون في يوم عشرة من الإبل وفي يوم تسعة. (دلائل النبوة ٣/١٠٩).

وفي جانب المسلمين أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء يتسقطان أخبار القافلة؛ فسارا حتى أتيا حيًا من جهينة قريبًا من ساحل البحر؛ فسألوهم عن العير وعن تجار قريش فأخبروهما بقرب وصولها؛ فرجعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبراه؛ فندب النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين للخروج وقال: «إن لنا طلبة- شيئًا نطلبه- فمن كان ظهره حاضرًا؛ فليركب معنا؛ فاستأذنه بعض الصحابة؛ أن يجلبوا رواحلهم من بعض مناطق المدينة؛ فلم يأذن لهم» (دلائل النبوة للبيهقي (٣/١٠٣)، وصحيح مسلم (٣/ ١٥٠٩).

خروج النبي صلى الله عليه وسلم

ثم خرج صلى الله عليه وسلم يوم السبت الثاني عشر من رمضان، وقال ابن هشام: خرج يوم الاثنين لثمان خلون من رمضان (ابن سعد (٢/١٢) وقال ابن هشام (٢/٢٥١)، ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً من أصحابه (صحيح مسلم (١٧٦٣).

واستخلف على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم. فلما كان بالروحاء رد أبا لبابة بن عبد المنذر واستعمله على المدينة. (الفصول في السيرة (ص: ١٢٨).

وفي الطريق توقف واستعرض الجيش؛ فرد من لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره، ومن هؤلاء عبد الله بن عمر والبراء بن عازب. (صحيح البخاري (٣٩٥٦).

ووزع رسول الله صلى الله عليه وسلم الألوية، فأعطى اللواء العام لمصعب بن عمير، ولواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب، ولواء الأنصار لسعد بن معاذ، وجعل على المؤخرة قيس بن أبي صَعْصَعة. ولم يكن معه من الخيل سوى فرس الزبير، وفرس المقداد بن الأسود الكندي، ومن الإبل سبعون بعيراً يعتقب الرجلان والثلاثة فأكثر على البعير الواحد. (الفصول في السيرة (١٢٩).

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حالهم دعا لهم فقال: «اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم» (سنن أبي داود (٢٧٤٧)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٠٣).

وللحديث بقية إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

الأنكحة المحرمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن المحرمات بسبب المصاهرة والمحرمات مؤقتًا، ونستكمل بعض الأحكام المتعلقة بفقه النكاح، سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل، وأن ينفع به المسلمين.

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

الأنكحة المحرمة:

أولاً: زواج المتعة:

زواج المتعة: هو أن يقول للمرأة: أمتعيني نفسك شهرًا أو موسم الحج، أو ما أقمت في البلد أو يذكر ذلك بلفظ النكاح أو التزويج بها، أو لوليها بعد أن يقدره بمدة، إما معلومة أو مجهولة فهذا هو نكاح المتعة المحرم- الحاوي الكبير (٣٢٨/٩).

حكمه: ذهب جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن نكاح المتعة حرام، وأنه كان جائزًا أول الإسلام ثم نُسخ الحكم، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم.

واحتجوا على ذلك بما يأتي:

١- عن قيس، قال: سمعت عبد الله يقول: كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء، فقلنا ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عبد الله: «يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» (المائدة: ٨٧). أخرجه البخاري (٥٠٧١) ومسلم (١٤٠٤).

٢- وعن عمر بن دينار قال: سمعت الحسن بن محمد يحدث عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع، قالا: خَرَجَ عَلَيْنَا مُنَادي رَسُول الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَدْ أَذنَ لَكُمْ أَنْ تَسْتَمْتِعُوا يَعْني مُتْعَةَ النِّسَاء. أخرجه البخاري (٥١١٧، ٥١١٨) ومسلم (١٤٠٥).

٣- عن الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه سبرة، أنه قال: «أَذنَ لَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بِالْمُتْعَة فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ

إلى امْرَأةٍ منْ بَنِي عَامرٍ كَأنَّها بَكْرَةٌ عَيْطاءُ فَعَرَضْنا عَلَيْهَا أَنْفُسَنا فقالَتْ: مَا تُعْطِي فقُلْتُ: ردائي وقَالَ صَاحِبي: ردائي وكَان رداءُ صَاحِبِي أَجْوَدَ منْ رِدَائي وكُنْتُ أشَبَّ منْهُ فإذا نَظَرَتْ إلى رداءِ صَاحبي أعْجَبَهَا وَإذا نَظَرَتْ إليَّ أَعْجَبْتُهَا ثُمَّ قَالَتْ: أَنْتَ ورِدَاؤُكَ يَكْفِينِي فمَكَثْتُ معَهَا ثَلاثًا ثُمَّ إنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ منْ هَذه النِّسَاءِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهَا». أخرجه مسلم (١٤٠٦).

وفي رواية «... ثُمَّ اسْتَمْتَعْتُ مِنْهَا فَلَمْ أَخْرُجْ حَتَّى حَرَّمَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم». أخرجه مسلم (٢٠-١٤٠٦).

أقوال أهل العلم في نكاح المتعة:

قال الموصلي في الاختيار لتعليل المختار (٣/ ٨٩): ونكاح المتعة والنكاح المؤقت باطل، أما المتعة فلقوله تعالى: «فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ» (المؤمنون: ٧)، وهذه ليست مملوكة ولا زوجة.

قال الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢/٣٨٥): بعد أن ساق جملة من الآثار... ففي هذه الآثار تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم المتعة بعد إذنه فيها وإباحته إياها، فثبت بما ذكرنا نسخ ما في الآثار الأول التي ذكرناها في أول هذا الباب، ثم روي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النهي عنها أيضًا.

قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٠٩/٧): قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في تحريم نكاح المتعة مما قد ذكرناه ما فيه شفاء وليس أحد من خلق الله إلا يؤخذ ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم...

قال أبو عمر: وأجمعوا أن المتعة نكاح لا إشهاد فيه ولا ولي وانه نكاح إلى أجل تقع فيه الفرقة بلا طلاق ولا ميراث بينهما وهذا ليس حكم الزوجات في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

جاء في شرح النووي على صحيح مسلم(٥/٢٠٢-٢٠١): قال المازري: ثبت أن نكاح المتعة كان جائزًا في أول الإسلام ثم ثبت بالأحاديث الصحيحة المذكورة هنا أنه نسخ وانعقد الإجماع على تحريمه ولم يخالف فيه إلا طائفة من المبتدعة وتعلقوا بالأحاديث الواردة في ذلك، وقد ذكرنا أنها منسوخة فلا دلالة لهم فيها.

قال النووي: والصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتين، وكانت حلالاً قبل خيبر ثم حرمت يوم خيبر ثم أبيحت يوم فتح مكة وهو يوم أوطاس لاتصالها ثم حرمت يومئذ بعد ثلاثة أيام تحريمًا مؤبدًا إلى يوم القيامة، واستمر التحريم ولا يجوز أن يقال: إن الإباحة مختصة بما قبل خيبر والتحريم يوم خيبر للتأبيد، وأن الذي كان يوم الفتح مجرد توكيد التحريم من غير تقدم إباحة يوم الفتح كما اختاره المازري والقاضي، لأن الروايات التي ذكرها مسلم في الإباحة يوم الفتح صريحة في ذلك فلا يجوز إسقاطها ولا مانع يمنع تكرير الإباحة، والله تعالى أعلم.

قال الماوردي في الحاوي الكبير (٣٢٨/٩): قال الشافعي: وفي القرآن والسنة دليل على تحريم المتعة، قال تعالى: «إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن» فلم يحرمهن الله على الأزواج إلا بالطلاق وقال تعالى: «فإمساك بمعروف أو تسريح». وقال تعالى: «وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج». فجعل إلى الأزواج فرقة من عقدوا عليه النكاح مع أحكام ما بين الأزواج فكان بينًا- والله تعالى أعلم- أن نكاح المتعة منسوخ بالقرآن والسنة لأنه إلى مدة ثم نجده ينفسخ بلا إحداث طلاق فيه ولا فيه أحكام الأزواج.

قال المرداوي في الإنصاف (١٦٠/٨): الصحيح من المذهب: أن نكاح المتعة لا

يصح وعليه الإمام أحمد- رحمه الله- والأصحاب.

ثانيا: نكاح التحليل:

المحلُ: اسم فاعل من الإحلال. والمحلل: اسم مفعول من التحليل. والمراد من المحل هو تزوج المرأة المطلقة ثلاثًا بقصد الطلاق أو شرطه لتحل هي لزوجها الأول. والمراد من المحلل له: الزوج الأول- المبدع في شرح المقنع (٦/ ١٥١)، تحفة الأحوذي (٢٢١/٤).

حكمه: ذهب جمهور أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى تحريم زواج التحليل وحجتهم في ذلك ما يأتي:

١- عن عبد الله بن مسعود قال: «إنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم لَعَنَ المُحِلَّ والمُحَلَّلَ لَهُ». صحيح سنن الترمذي (١١٢٠) وصحيح سنن أبي داود (٢٠٧٦) وصحيح ابن ماجه (١٩٣٥).

قال أبو عيسى الترمذي: والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وغيرهم، وهو قول الفقهاء والتابعين وبه يقول سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق- جامع الترمذي (ص: ١١٩)

٢- عن عائشة، قالت: جاءتْ امرأةُ رفاعةَ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فقالتْ: كُنْتُ عِنْدَ رفَاعةَ فطلَّقني فبَتَّ طلاقي فتزوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمنِ بْنَ الزَّبيرِ، وإنَّ ما مَعَهُ مثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ فتبَسَّمَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: أتُريدينَ أنْ ترْجعي إلى رفَاعةَ لا حتَّى تَذُوقي عُسَيْلَتَهُ». أخرجه البخاري (٥٢٦١) ومسلم (١٤٣٣).

٣- عن عمر بن نافع عن أبيه أنه قال: جاء رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثا فتزوجها أخ له من غير مؤامرة منه ليحلها لأخيه هل تحل؟ للأول؟ قال: لا إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحًا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرك (١٩٩/٢) قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه والبيهقي (٢٠٨/٧).

٤- وعن جابر الأسدي قال: قال عمر بن الخطاب: لا أوتى بمحلل ولا بمحللة إلا رجمتهما. أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٦٥/٦) وسعيد بن منصور في السنن (١٩٩٢، ١٩٩٣).

وجه الدلالة:

هذه الأحاديث صريحة في تحريم زواج التحليل.

أقوال أهل العلم:

قال الإمام مالك في شرح الموطأ (١٦٦/٣): قال مالك في المحلل- أي المتزوج مبتوتة بقصد إحلالها لباتّها-: إنه لا يقيم على نكاحه ذلك لفساده، حتى يستقبل نكاحًا جديد فإن أصابها في ذلك الفاسد فلها مهرها عليه.

قال الشافعي في الأم (١١٧/٥): ونكاح المحلل الذي يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه- والله تعالى أعلم- ضرب من نكاح المتعة لأنه غير مطلق إذا شرط أن ينكحها حتى تكون الإصابة، فقد يستأخر ذلك أو يتقدم، وأصل ذلك أنه عقد عليها النكاح إلى أن يصيبها فإذا أصابها فلا نكاح له عليها، مثل أنكحك عشرًا ففي عقد أنكحك عشرًا أن لا نكاح بيني وبينك بعد عشر، كما في عقد أنكحك لأحللك أي إذا أصبتك فلا نكاح بيني وبينك بعد أن أصبتك كما يقال: أتكارى منك هذا المنزل عشرًا أو أستأجر هذا العبد شهرًا وفي عقد شهر أنه إذا مضى فلا كراء... إلى أن قال: فإذا عقد النكاح على واحد مما وصفت فهو داخل في نكاح المتعة، وكذلك كل نكاح إلى وقت معلوم أو مجهول فالنكاح مفسوخ لا ميراث بين الزوجين وليس بين الزوجين شيء من أحكام الأزواج، طلاق ولا ظهار ولا إيلاء ولا لعان إلا بولد، وإن كان لم يصبها

فلا مهر لها وإن كان أصابها فلها مهر مثلها لا ما سمى لا لها وعليها العدة ولا نفقة لها في العدة. وإن كانت حاملاً، فإن نكحها بعد هذا نكاحًا صحيحًا فهي عنده على ثلاث.

قال الحافظ في التلخيص (٣/٣٧٣): فائدة: استدلوا بهذا الحديث على بطلان النكاح إذا شرط الزوج أنه إذا نكحها بانت منه، أو شرط أنه يطلقها أو نحو ذلك وحملوا الحديث على ذلك ولا شك أن إطلاقه يشمل هذه الصورة وغيرها.

قال ابن قدامة في المغني (٧/ ١٨٠): نكاح المحلل حرام باطل، في قول عامة أهل العلم؛ منهم الحسن والنخعي، وقتادة، ومالك، والليث، والثوري، وابن المبارك، والشافعي، وسواء قال: زوجتكها إلى أن تطأها. أو شرط أنه إذا أحلها فلا نكاح بينهما، أو أنه إذا أحلها للأول طلقها

قال ابن القيم في زاد المعاد (٥/٩٤): بعد أن ساق أحاديث عن ابن مسعود وعلي وأبي هريرة وعقبة بن عامر... فهؤلاء الأربعة من سادات الصحابة رضي الله عنهم وقد شهدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بلعنة أصحاب التحليل، وهم: المحلل والمحلل له، وهذا إما خبر عن الله فهو خبر صدق، وإما دعاء فهو دعاء مستحب قطعًا، وهذا يفيد أنه من الكبائر الملعون فاعلها، ولا فرق عند أهل المدينة وأهل الحديث وفقهائهم بين اشتراط ذلك بالقول أو بالتواطؤ والقصد، فإن القصود في العقود عندهم معتبرة والأعمال بالنيات، والشرط المتواطأ عليه دخل عليه المتعاقدان كالملفوظ عندهم، والألفاظ لا تراد لعينها بل للدلالة على المعاني، فإذا ظهرت المعاني والمقاصد فلا عبرة بالألفاظ لأنها وسائل وقد تحققت غاياتها فترتبت عليها أحكامها.

قال الصنعاني في سبل السلام (٣/١٨٦): والحديث دليل على تحريم التحليل؛ لأنه لا يكون اللعن إلا على فاعل المحرم وكل محرم منهي عنه والنهي يقتضي فساد العقد واللعن وإن كان ذلك للفاعل لكنه علق بوصف يصح أن يكون علة الحكم وذكروا للتحليل صورًا، منها أن يقول له في العقد: إذا أحللتها فلا نكاح وهذا مثل نكاح المتعة لأجل التوقيت ومنها أن يقول في العقد: إذا أحللتها طلقتها، ومنها أن يكون مضمرًا عند العقد بأن يتواطئا على التحليل ولا يكون النكاح الدائم هو المقصود، وظاهر شمول اللعن فساد العقد لجميع الصور وفي بعضها خلاف بلا دليل ناهض فلا يشتغل بها.

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (٤/٢٢٣): استدل بهذا الحديث، يعني بحديث: «لَعَنَ الْمحِلَّ وَالْمحَلَّلَ لَهُ» على كراهة النكاح المشروط به التحليل، وظاهره يقتضي التحريم كما هو مذهب الإمام أحمد انتهى.

قلت: لا شك في أن ما قال الإمام أحمد هو الظاهر.

وللحديث صلة إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى الأستاذ/ محمد محمد منسي، الموظف باستعلامات المركز العام، وتتقدم أسرة تحرير المجلة بخالص العزاء، سائلين الله تعالى أن يغفر له ويرحمه رحمة واسعة وأن يلهم أهله الصبر، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الردود العلمية على شبهات المحتفلين بمولد خير البرية

إعداد **معاوية محمد هيكل**

الحمد لله رب العالمين؛ والصلاة والسلام على رسوله الأمين؛ وآله وصحبه والتابعين... أما بعد؛ فإنه قد نشرت مقالات وفتاوى تفيد بشرعية الاحتفال بالمولد النبوي، واستدلت بآيات وأحاديث لا يصح الاستشهاد بها عند مناقشتها في ضوء الأصول العلمية والقواعد الشرعية، كما ذَكَرت في السياق ذاته إجماعا عجيبًا وقياسًا أعجب تؤيد به ما ذهبت إليه، واتهمت من خالفها بأنهم «ثلة من الخوارج»، ونعرض في هذا المقال تحليلًا وتفنيدًا إحقاقا للحق ونصرة لمنهج أهل السنة فنقول مستعينين بالله:

اعلم أخي الكريم أنَّ عَادة أهل الأهواء والبدَع التمسُّك بالشُبُهات يُلبسونها على العوامّ فيحسبها الجاهل - بحسن ظنّه - أدلة الشرع وأحكامه، «وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (آل عمران: ٧٨).

من هذه الشبهات ما يلي:

الشبهة الأولى وهي قولهم: إنَّ دليل الاحتفال بالمولد: قصة أبي لهب، عندما أعتق جاريته «ثويبة الأسلمية» فرحًا بمولد النبي صلى الله عليه وسلم؛ فرآه بعض أهله في المنام أنه خُفِّف عنه في الآخرة ! وهذه القصة ذكرها البخاري رحمه الله في صحيحه عن عروة (التابعي) بدُون إسنَاد، والخبرُ مُرسلٌ مُنقطعٌ ضعيفٌ لا يصحُ الاستشهادُ به، وقد جاء في السير ما يُؤكدُ عَدم صحته، فإنَّ أبَا لهَب لم يعتق ثويبة؛ إلا بعدَ هجرَة النَّبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. (ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في كتابه الإصابة (٨/٦٠)) و(الحافظ بن البر في الاستيعاب (١/١٢)).

ورُوي أنّه أعتقَها قبل ولادته بزمنِ طَويل كمَا في («شرح الزرقاني» على «المواهب اللدنية» (١/٢٥٩)).

فكيف يكونُ عتقُهَا بسبب ولادَةِ النَّبي صلى الله عليه وسلم؟

وعلى فرض صحة القصة؛ فليست إلا رؤيا منامية رُئيت لإمام من أئمة الكفر أبي لهب، ولا حُجة فيها، ولا يثبت بها حكمٌ أصلا، حتى يُقاس عليه !

وقد أجمع أهلُ الإسلام على أن الشرع لا يثبُتُ بالمنامات مهما علا شأنُ صاحب الرؤيا في الصلاح والعبادة إلا أن يكون صاحب الرؤيا نبيا، فرُؤيا الأنبياء حق ووحيٌ وشرعٌ.

الشبهة الثانية:

أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم كان يُعظم يومَ مولده، ويشكر الله تعالى فيه على نعمته الكبرى عليه، وتفضله عليه بالوجود لهذا الوُجود، واستدلوا على ذلك بالحديث الذي أخرجه مُسلمٌ عن أبي قتادة الأنصاريّ رضي الله عنه، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم: (سُئل عن صوم الاثنين ؟ قال: ذاك يومٌ وُلدتُ فيه)، حيثُ زعموا أنّ هذا احتفالٌ منه بيوم مولده صلى الله عليه وسلم !

والجواب عن هذه الشبهة:

أولا: هذا استدلال خاطئ وغير منهجي لم يقل به أحد من العلماء، فإن غاية ما يدل عليه الحديث الترغيبُ في الصيام يوم الاثنين وقد اكتفى صلى الله عليه وسلم به، وما كفى النبيَّ صلى الله عليه وسلم يكفي أمّته، وما وسعه يسعها؛ ولذلك كان شكرُ الله على نعمة ولادته بنوع ما شكر به صلى الله عليه وسلم إنّما يكون في هذا المعنى المشروع.

فلماذا لا تقتصرُون على ما وَرَد في الحديث وتحرصُون عليه، فتَصُومُون كل يوم اثنَين، امتثالا واتباعًا وتأسيًا بالنبي صلى الله عليه وسلم ؟!

لقد أحدثتم أيُّها المحتفلون وفعلتم أمراً لم يفعلهُ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم. وذلك بتخصيصكم يوماً في السنة للاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم فخالفتم بذلك هدي نبيكم.

حقيقة تاريخية:

ومن الحقائق التاريخية الثابتة أن المؤرخين اتفقوا على عام الوفاة وشهره، فقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وكانت الوفاة النبوية في شهر ربيع الأول، سنة إحدى عشرة باتفاق» (فتح الباري (٩/٤٤٨))

واختلفوا في الشهر واليوم الذي وُلد فيه؛ فقيل في شهر صفر؛ وقيل في ربيع الآخر؛ وقيل في رجب؛ وقيل في رمضان؛ وقيل في شهر ربيع الأول يوم ٢ أو ٨ أو ١٠ أو ١٢ أو ١٧...

وليس لأي من هذه الآراء ما يُرجّحه على الآراء الأخرى.

(انظر سيرة ابن هشام (١/١٥٨) والبداية والنهاية لابن كثير (٢/٣٢٠) وعيون الأثر لابن سيد الناس (١/٣٣-٣٤))

فكيف يفرحُ المسلمُ ويحتفل في الشهر الذي انطفأ فيه نورُ الوحي، وانقطع بالمسلمين الأمان من العذاب؛ الذي جعله الله في الأرض؛ فقال سبحانه: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» (الأنفال ٣٣) ؟!

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: أمانان كانا في الأرض، فرُفع أحدهُما، وبقي الآخر. (مستدرك الحاكم (١٩٨٩)).

بل كيف يفرحُ ويحتفلُ المسلم في شهر وقعتْ فيه مُصيبة تهون دونها كل مصيبة ؟!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أصاب أحدكم مصيبة؛ فليذكرْ مصيبتهُ بي؛ فإنها من أعظم المصائب. (صحيح الجامع (٣٤٧)).

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: وما رأيتُ يومًا كان أقبح، ولا أظلم، من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. (شرح السنة للبغوي (٣٨٣٤)).

وأمرٌ ثالثٌ مهم جدًا، هو أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم سُئل عن صيام يوم الاثنين، ولم يُسأل عن صيام يوم "الثاني عشر من ربيع الأول"، فالعلة إذًا: تخصيص يوم الاثنين، بالصيام، وليس تخصيص يوم الثاني عشر من ربيع الأول بالصيام، ولهذا فإن النبي وهو المشرّع، لم يُنقل عنه أنه خصص اليوم الثاني عشر بالصيام أو بأي عمل آخر، بل خصص يوم الاثنين بالصيام، وفرق كبير بين السببين، فالصواب أن العلة هي كون يوم الاثنين، (يوم مولده، ويوم بُعث فيه، ويوم إنزال القرآن عليه).

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «ذاك

يوم وُلدتُ فيه، ويوم بعثت (أو) أُنزل عليّ فيه» (صحيح مسلم (١١٦٢)).

فالنبي صلى الله عليه وسلم لما بين سبب صيامه لذلك اليوم، جعل العلة مركبة، فقال: قال: (ذاك يَوْمٌ وُلِدْتُ فيه ويَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فيه) فذكر ثلاثة أسباب، أو بتعبير أصولي ذكر علةً مُركبة من ثلاثة أوصاف، (ميلاده، ومبعثه، وانزال القرآن)، والصواب صحة التعليل بالعلة المركبة، وأنها لا تؤثر إلا إذا اجتمعت الأوصاف المركبة منها كلها، وعندئذ فلا تجتمع هذه الأوصاف لتكون علة الحكم إلا في يوم الاثنين، ولا تنطبق البتة على يوم الثاني عشر من ربيع الأول، فإنزال القرآن حدث في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك بالإجماع كما هو نص القرآن، فهي علة قاصرة على هذا اليوم، فلا تتعدى إلى غيره.

وعلى ذلك فتخصيصُ يوم الثاني عشر من ربيع الأول بعمل ما دون يوم الاثنين من كل أسبوع يُعدُ استدراكا على الشارع، وتصحيحا لعمله، وما أقبح هذا- إن كان- والعياذ بالله تعالى

الشبهة الثالثة:

قول الله تعالى: «وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ ٱللَّهِ» (إبراهيم ٥): وأنه يفيد سنية واستحباب تذكر الأيام العظيمة القدر في حياة المسلمين، ولاشك أن مولد سيد الخلق صلى الله عليه وسلم هو أحق الأيام وأولاها بالتذكر والاحتفال.

والجواب عن هذه الشبهة أن نقول: إن الاستدلال بهذه الآية على مشروعية الاحتفال بالمولد من قبيل حمل كلام الله- تعالى- على ما لم يحمله عليه السلف الصالح، والدعاء إلى العمل به على غير الوجه الذي مضوا عليه في العمل به، وهذا أمرٌ لا يليق؛ فإن كبار المفسّرين قد فسّروا هذه الآية الكريمة، ولم يكن في تفسيرهم أن المقصود بالتذكير بأيام الله في هذه الآية الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، وانما المقصود بالتذكير بأيام الله: الوعظ بنعمه ونقمه؛ فعن أُبيّ بن كعب- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنه بيْنما مُوسى عليه السَّلامُ، في قوْمِه يُذكرُهمْ بأيّامِ اللهِ، وأيّامُ اللهِ نعْماؤُهُ وبلاؤُهُ، إذْ قال: ما أعلمُ في الأرض رجُلًا خيْرًا وأعلم منّي. قال: فأوحى اللهُ إليْه، إني أعلمُ بالخيْر منه، أوْ عنْد منْ هو، إن في الأرْض رجُلًا هو أعْلمُ منك.....» (أخرجه مسلم (٢٣٨٠)).

الشبهة الرابعة:

واستدلوا كذلك بأنه عمل كثير من البلدان العربية والإسلامية على المستوى الرسمي والشعبي وهذا يعد إجماعا في نظرهم.

والجواب عن ذلك أن نقول:

إن هذا الاجتماع هو إجماع من نوع عجيب يثير الدهشة والاستغراب ولم نسمع به قبل،إن هذا إلا اختلاق، والحجة دائما بما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم والثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم النهي عن البدع عموما، وهذا منها. وعمل الناس إذا خالف الدليل فليس بحجة، وإن كثروا حتى لو كانت دُولًا: «وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ» (الأنعام: ١١٦).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ومن اعتقد أنّ أكثر هذه العادات المخالفة للسنن مُجمعٌ عليها، بناءً على أنّ الأمة أقرّتها، ولم تنكرها؛ فهو مخطئٌ في هذا الاعتقاد؛ فإنه لم يزل، ولا يزال في كل وقت من ينهى عن عامة العادات المحدثة المخالفة للسُّنة، وما يجوز دعوى الإجماع بعمل بلد- أو بلاد- من بلاد المسلمين» (اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨٩)).

ثم إن العبرة بالدليل الشرعي: المبني علي الكتاب والسنة.. وأما أهل العلم: فيُستدل لأقوالهم، ولا يُستدل بها !

قال علي رضي الله عنه: «إنّ الحقّ لا يُعرف بالرِّجال: اعرف الحق، تعرف أهله» (الذريعة للراغب الأصفهاني (١٧١)).

ومن علماء الأزهر أيضا من ينكرون الاحتفال بالمولد النبوي:

منهم الشيخ نجيب المطيعي (مفتي مصر الاسبق).

والشيخ على محفوظ (عضو هيئة كبار علماء الأزهر) وصاحب كتاب الابداع في مضر الابتداع

والشيخ عبد المجيد سليم (شيخ الأزهر الأسبق).

والشيخ حسن مأمون (شيخ الأزهر الأسبق)

والشيخ محمود شلتوت (شيخ الأزهر الأسبق).

الدكتور محمد حسين الذهبي (وزير الأوقاف الأسبق).

الشيخ جاد الحق علي جاد الحق (شيخ الأزهر الأسبق).

الشيخ محمد رشيد رضا (الذي ألف فيه رسالة مستقلة).

ويستطيع القارئ الكريم مطالعة فتاوى هؤلاء العلماء الكبار في كتاب (فتاوى كبار علماء الأزهر حول الأضرحة والموالد والقبور).

وكتاب (فتاوى كبار علماء الأزهر حول انحرافات الطرق الصوفية).

الشبهة الخامسة:

الاستدلال على شرعية الاحتفال بالمولد النبوي بالقياس وذلك بقولها: إذا كان العالم كله يحتفل بميلاد المسيح عليه السلام فنحن من باب أولى أن نحتفل بسيد الأنام.

والجواب عن هذه الشبهة أن نقول: وهذا قياس فاسد لا نجد رَدًا عليه أبلغ ولا أعظم من قول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وذِراعًا بذِراعٍ، حتَّى لو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ، قُلْنا: يا رَسولَ اللَّهِ، اليَهُودُ والنَّصارَى؟ قالَ: فَمَنْ. (صحيح البخاري ٧٣٢٠)(١/٥٩)).

واذا سلَّمنا أنَّه منْ عاداتهم فقدْ نُهينا عن التشبُّه بأهل الكتاب وتقليدهم، سواءً في أعيادهم أو في غيرها؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وحسَّنه الألباني في الإرواء (١٢٦٩)).

وأقلُّ أحوال الحديث اقتضاءُ تحريم التشبُّه بهم.. (اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٧٠))، ومعلومٌ أنَّ المشابهة إذا كانَتْ في أمور دنيوية فإنَّها تورثُ المحبَّة والموالاة، فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟ فإنَّ إفضاءَها إلى نوع من الموالاة أكثرُ وأشدُّ، والمحبَّة والموالاة لهم تُنافي الإيمان، كما قرَّره شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله (انظر: المصدر السابق (١/٥٥٠))

الشبهة السادسة: وصف المخالفين لهم بأنهم «ثلة من الخوارج»...

إن وظيفتهم على مر العصور هو تبصير الناس بأمور دينهم وبيان أحكام الشريعة لهم فيما يحل ويحرم، وإظهار محاسن الإسلام وعظمته، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ترغيبا للناس على امتثال تعاليم الإسلام المباركة.

لذلك فإننا نهيب بهم أن يراجعوا الأحكام التي صدرت في هذا الشأن، وألا يتعجلوا في إصدار الحكم على المخالف، فليس كل من خالف قولهم يُعد من الخوارج؛ لأن هذا منزلق خطير بل يجب عيهم أن يحرصوا على بيان الحق بدليله، ليكونوا مصدر ثقة عند جماهير الأمة وسبيلا لجمع كلمتهم وتأليف قلوبهم، وليتذكروا أنهم موقوفون بين يدي الله تعالى « وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (البقرة ٢٨١)، وألا ينسوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتفل بيوم مولده، ولا خلفاؤه الراشدون من بعده، ولا غيرهم من الصحابة، أو التابعين، وهم الأعلم بالسنَّة، والأعظم حبا للنبي صلى الله عليه وسلم..

وخلاصة القول:

أن الاحتفال بذكرى المولد النبوي بأنواعه واختلاف أشكاله بدعة منكرة يجب على المسلمين منعها ومنع غيرها من البدع، والاشتغال بإحياء السنن والتمسك بها، ولا يُغتر بمن يروجون لهذه البدعة ويدافعون عنها وان كثروا، وأن النجاة في الاعتصام بالكتاب والسنة على منهج سلف هذه الأمة ومن سار خلفهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة.

وصلِّ اللهم وسلم على نبيِّنا وحبيبنا مُحمدٍ، وآله وصحبه.

والحمد لله ربِّ العالمين.

القصة في كتاب الله ودورها في تنوع الخطاب الدعوي المعاصر

إعداد
د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله؛ والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإيمان وإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فقد تحدثنا في موضوعنا السابق عن القصص في القرآن الكريم وأثره في تكوين شخصية الداعية إلى الله تعالى وفقهه لمهمته ودعوته؛ فإن القصص في القرآن الكريم يشتمل على أساليب الدعوة ووسائلها ومناهجها، لذلك يجب على المسلم عمومًا والدعاة إلى الله تعالى خصوصًا دراستها دراسة متأنية مستفيضة، وقراءتها، والتأمل الرشيد والفحص الهادئ المَحص ليكشف عما يحويه من حقائق الإسلام على ألسنة أنبياء الله ورسله ومن آمنوا بدين التوحيد والاطلاع على تنوع طرق دعوتهم إلى الله وما لاقوه من عظيم الأذى وفادح البلاء، وما بذلوه من جهد في مواجهة صناديد الكفر وأئمة الضلال عبر تاريخ البشرية المتنوع الطويل، وفي النهاية ينتصر الحق وأصحابه ويقذف بالباطل وأهله في أودية الضلال ومسارب الأباطيل.

مع أن حقائق الإسلام تمليها الفطرة النقية، وتصدقها البداهة اليقينية التي لا ينكرها إلا من ينكر وجود نفسه. ويتطلع إلى إثبات ذاته باحثًا لذلك عن الدليل والبرهان بينما الحقيقة الساطعة تملك عليه جمع كيانه فأنى لبصيرته أن تبصر؟!، وأنى لحدسه أن يفيق!! وهذه الحقائق التي تدل عليها القصص في القرآن الكريم ترسم حال البشرية منذ نشأتها الأولى عمليًا وواقعيًا، وتظهر حتمية الصراع بين الحق والباطل ولزوم النصر لأهل الحق من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وثبتوا على دين التوحيد ولم يخشوا في الله لومة لائم، فمهما استعلى الباطل في الأرض واستفحل أمره وكثر أتباعه فإن الحق سيقهره يومًا ما، وأهل الإيمان هم الفائزون لا ريب في ذلك عند المؤمن الصادق، ولا يكون الداعية إلى الله تعالى داعية بحق إلا إذا آمن بذلك إيمانًا يبلغ حد اليقين ولا يصلح معه الشك.

والقرآن بقصصه يعرض الدعوة وتاريخها، ومنهجها ومصادرها، لتزداد وضوحًا وفهمًا، وتبدو منسجمة متسقة صادرة من مشكاة واحدة، وهي تحد طبائع الناس، وطرق علاجهم، وسنة الله في عقاب الأمم ومعافاتها وتداوي الكثير من الأمراض الاجتماعية حيث تتشابه الأحوال والمواقف، ومن هنا يلتفت إلى المخاطبين في أثناء عرض قصصه ليوجه الكلام إليهم. قال تعالى: (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ) (القلم: ١٧- ١٩).

وفي معرض الحملة على الكفار لاضطهادهم المؤمنين والمؤمنات، وفتنتهم عن الإسلام، وتذكير المؤمنين بمصير البغاة ونهاية الظلم، جاءت قصة أصحاب الأخدود الذين حُفر لهم فوقهم حفرة، وأججوا فيها النار، وألقوا فيها بالمؤمنين والمؤمنات، وجلسوا يشهدون عذابهم، دون أن تأخذهم عليهم شفقة، مع أنهم لم يكن لهم ذنب إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد، وتنذر القصة من يفتن المؤمنين والمؤمنات بالعذاب والتحريق، وتبين أن بطش الله شديد، قال تعالى: (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (البروج: ٤- ٨).

ويبين القصص القرآني أن القيم الحقيقية ليست قيم المال والجاه والسلطان لأنها زائلة، وأن الباقيات الصالحات خير عند الله، حين تجيء قصة الرجلين اللذين تحاورا وهما يمثلان طرفي الكفر والإيمان، والطاعة والعصيان والاستنكار والتواضع لله خالق الخلق رازق الإنسان.

كان أحدهما يعتز بماله ومتاعه، وكان الآخر يعتز بإيمانه بالله ورجائه من عنده، وهو خير وأبقى، وكان يدعو ربه، بينما كان الآخر غافلاً عن ذكر الله، وعرضت القصة نهاية كل منهما؛ الذي أذهله الغرور وأبطرته النعمة ونسي الحياة الآخرة. والذي يرى نعمة المنعم موجبة لحمده وذكره وحسن عبادته؛ فامتلأت نفس أحدهما غرورًا وبطرًا، ونسي الله الذي أعطى، أما الرجل الآخر فقد قام بواجبه نحوه وذكّره بأصله، ونبّهه إلى ما يجب عليه نحو ربه، وبيّن أن له عند الله ما هو خير مما يرجون، وأنه لا يبالي بالجاه والمال وكثرة الأتباع، وجهر بالحق وأعلن النصح، وتوجه إلى الله يأمل الخير. وكانت عاقبة إعراض المغرور عن دعوة الحق أن خوت جنته على عروشها، ووقف يقلب كفيه على ما أنفق فيها، وفي لحظة توارت قدرته أمام قدرة الملك الحق، لقد دفعه غروره أن يحكم على المستقبل بما هو عليه في الحال القائمة من القوة الموهومة، غير أن المستقبل يجيء لأمثاله بما يخيب الأمل ويكشف الحقيقة، والنصرة

والولاية الحقة لله سبحانه وتعالى، وهو وحده مالك الملك ومدبره. قال تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا)، (الكهف: ٣٢- ٣٨).

وقد عرض القصص القرآني للرجل الصالح الذي يجد المؤمنون في ظله العزة والكرامة والمعونة.

ويلقى الظالمون العذاب والإيذاء، وهو يتحدث عن ذي القرنين، عندما سأل سائلون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إليه بسيرته، وذكر رحلاته الثلاث إلى المغرب والمشرق والمكان الذي فيه السدّان، وهو رجل مكّن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سببًا فأتبع سببًا. مضى في طريق ما هو ميسر له، سالكًا سبيله إلى المغرب حيث رأى الشمس تغيب هناك وراء الأفق كما هو الحال عند مصب الأنهار في المحيطات، ووجد قومًا أعلن فيهم سياسته، وأوضح مسلكه في أن للظالمين في هذه الدنيا عذابًا ولهم عند الله إذا عادوا إليه عقابًا، في حين أن للمؤمنين الجزاء الحسن والمعاملة الطيبة والمعونة والتيسير، وعاد إلى رحلة المشرق حيث الأرض مكشوفة غير مغطاة بالجبال أو الأشجار، والقوم عراة لا يجدون ما يستر أجسادهم، ودستور الرجل في الحكم معلوم، وتصرفه الصالح مع الناس لا يحتاج إلى بيان.

ولما توجه إلى المكان الذي فيه السدان، وتوسم القوم فيه القوة والقدرة، عرضوا عليه أن يبني لهم حاجزًا يمنع عنهم أذى الذين هم وراء الحاجزين: (يأجوج ومأجوج)، وله في مقابل هذا العمل الخراج، فكان تصرفه أن رد عليهم المال، وتطوع بإقامة السد، وطلب منهم العون، فجمعوا قطع الحديد ووضعوه في الفتحة وأوقدوا النار وأضافوا النحاس، فزاد بذلك الحديد قوة، وساوى ذو القرنين بالردم بين الصدفين، وأغلق الطريق على القوم المفسدين، وقد نسب الفضل إلى الله تعالى. وقوة العلم وقوة الحكم حين يسندها الإيمان تكون مصدرًا للخير والرحمة والمعونة الصادقة والعدل والإحسان، ولعل لهذه وقعًا على قلوب المؤمنين بالله ودعاة الحق حملة الرسالة الذين يبتغون بعملهم وعلمهم وجه الله وحده، دون رغبة في جاه أو مال أو سلطة. قال تعالى: (قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) (الكهف: ٩٨).

وفي سلطان المال والعلم، وانتهائه بالبوار عند البغي والبطش، وجحود نعمة الخالق جل وعلا جاءت قصة هارون التي قدرت حقيقة القيم، ورفعت من قيمة الإيمان والصلاح، مع الاعتدال والتوازن في الاستمتاع بطيبات الحياة دون علو في الأرض ولا فساد، ووضعت من قيمة المال وزينة الحياة الدنيا.

إن قارون من قوم موسى بغى على قومه، وقد آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة؛ حيث أعطاه الله مالاً مخبورًا مدخرًا، فمخبور عند الاستعمال والتداول، وهو من الكثرة بمكان؛ فبغى على

قومه بسببه واعتدى عليهم وحرمهم من حقوقهم، وقد وجد منهم من يحاولون رده إلى المنهج المستقيم من القصد والاعتدال ومراقبة الله الذي أنعم عليه، ومراعاة الآخرة وما فيها من حساب وترك الزهو بالمال فلا يتعلق به قلبه ولا يبغي به الفساد؛ لأن الله لا يحبه، وطلبوا منه أن يطلب الآخرة والفوز فيها، وألا ينسى نفسه، لتتحقق له القوة الجسدية والروحية؛ فكان رده دليلاً على ما فيه من فساد، حيث نسب المال إلى علمه وكدِّه، وأنه غير مسؤول عن ما ينفقه أو يمسكه، فلا محاسب يرجو منه ثوابًا ويخاف منه عقابًا، وهنا كانت الخاتمة المنتظرة لكل من يفعل مثل فعله حسب سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وإذا كانت طائفة من قومه قد نصحت وبينت، فإن طائفة أخرى قد أغراها ما عليه من زينة وبهرها ما هو فيه من متاع، فتمنت أن يكون لها في الحياة حظ مثل حظه، وكانت نهاية الغرور عاجلة، وذهب قارون بكل ما أوتي من مال وزينة ومتاع، وأصبح الذين أوشكوا أن يُفتتنوا من قومه يحمدون الله، ويعترفون له بالفضل، فعاد الناس يدركون أن الله وحده أهل الفضل والخير، وله وحده الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم، قال تعالى: (وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ) (القصص: ٨٢).

وفى معرض الحديث عن البعث وإقامة دليل واقعي عليه، وأن في قدرة الله تعالى إحياء الموتى جاءت قصة الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها. فحار الرجل وقال: كيف يحيي هذه الله بعد موتها؟ فأراه الله ذلك بما حدث له إذ أماته مائة عام ثم بعثه، وكانت هناك أدلة محسوسة تبين له أنها مائة عام، ولم تكن إلا طعامه وشرابه، فلم يصيبهما العفن والبلى، رأى الرجل عظام حماره خاوية، ثم أخذ يكسوه اللحم، وإذا كانت الظروف واحدة فلماذا لم يتغير الطعام والشراب وتغير الحمار؟ وراء كل ذلك قدرة القادر وتدبير من يحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير؛ إنه الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم خالق كل شيء ومليكه؛ لقد شاهد الرجل الطعام والشراب وشاهد الحمار وشاهد عودة الحياة من جديد فنطق بلسانه، واعترف بقلبه أن الله على كل شيء قدير، وأن ذلك هو الدليل القاطع على البعث والنشور قال تعالى: (أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: ٢٥٩).

ويتجلى الصراع بين الخير والشر، وهما جانبان في الإنسان، كما سنبينه إن شاء الله في الموضوع القادم، وعلى الله قصد السبيل.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى الدكتور أحمد مرزوق، شقيق الدكتور ياسر مرزوق الأمين العام للجمعية، وتتقدم اللجنة العلمية وأسرة تحرير المجلة بخالص العزاء للدكتور ياسر، سائلين الله تعالى أن يغفر له ويرحمه رحمة واسعة وأن يلهم أهله الصبر، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الدعاء من أعظم وسائل تفريج الكروب

قال الله تعالى: «أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ»

(النمل: ٦٢).

من أقوال السلف

قال سفيان الثوريّ -رحمه الله-: «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيقٌ بما يأمر، رفيقٌ بما ينهى، عدلٌ بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى".

(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال)

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

كلمة التوحيد تعصم دم المسلم وماله

عن طارق بن أشيم الأشجعي -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَن قالَ: لا إلهَ إلا اللهُ، وكفَرَ بما يُعْبَدُ مِن دُونِ اللهِ، حَرُمَ مالُهُ ودَمُهُ، وحِسابُهُ على اللهِ»

(صحيح مسلم: ٢٣)

حكم ومواعظ

قال محمّد بن سيرين: «ظلمٌ لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما رأيت، وتكتم خيره»

(البداية والنهاية لابن كثير).

من دلائل النبوة

الملائكة تقاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم في معاركه

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيتُ عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثيابَ بياض، ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام. (صحيح مسلم ٢٣٠٦).

إعداد : علاء خضر

من أخلاق الإسلام

عن ميمون بن مهران قال: ثلاثة المسلم والكافر فيهن سواء: من عاهدته وَفَّ بعهده مسلماً كان أو كافراً؛ فإنما العهد لله عز وجل. ومن كانت بينك وبينه رحم فَصِلْها مسلماً كان أو كافراً. ومن ائتمنك على أمانة فأدها إليه مسلماً كان أو كافراً. (شعب الايمان).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدًا" باطل.

وهو مع اشتهاره على الألسنة لا يصح مِن قِبَل إسناده، ولا من جهة متنه.

(السلسلة الضعيفة للألباني)

من حكمة الشعر

قال الشاعر في صعوبة عيش مَن فتّش عن النوايا:

ارض من المرء في مودّته
بما يؤدّي إليك ظاهره
من يكشف النّاس لا يرى أحدًا
تصحّ منه له سرائره

(العقد الفريد)

من معاني الأحاديث

قوله صلى الله عليه وسلم: «وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر».. الحديث «أرذل العمر» أي آخره في حال الكِبَر والعجز والخرف. والأرذل من كل شيء: الرديء منه. (النهاية لابن الأثير).

من فضائل الصحابة

زهدهم في المناصب

عن الشعبي، أن الحسن بن عليّ -رضي الله عنهما- خطب فقال: "إن أكيس الكيس التُّقى، وإن أحمق الحمق الفجور، ألا وإن هذه الأمور التي اختلفت فيها أنا ومعاوية، تركت لمعاوية إرادة إصلاح المسلمين، وحقن دمائهم. (سير أعلام النبلاء).

حجاب المرأة المسلمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد: نواصل الحديث عن أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب، وقد قسمت أدلة الحجاب إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى: أدلة القرآن. المجموعة الثانية: أدلة السنة. المجموعة الثالثة: الآثار عن الصحابة ومن بعدهم. وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن وأدلة السنة، ووصلت إلى الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم إلى الأثر العاشر.

إعداد **د. متولي البراجيلي**

الأثر العاشر:

عن قيس بن أبي حازم قال: دخلت أنا وأبي على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه، وإذا هو رجل أبيض خفيف الجسم عنده أسماء بنت عميس وهي امرأة بيضاء موشومة اليدين، كانوا أوشموها في الجاهلية نحو وشم البربر ... (أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٣١/٢٤، والطبري في تهذيب الآثار ١١٤/١، وقال الألباني: وإسناده صحيح، انظر جلباب المرأة المسلمة صـ ٩٦).

(الوشم حرام، وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواشمات والمستوشمات، فكيف كانت يدها موشومة؟ في الأثر أنها كانت موشومة في الجاهلية، ولا يُستطاع إزالته، لذا فلا إثم عليها).

وقد أورد الألباني هذا الأثر في أدلة جواز كشف الوجه والكفين، وقال في الرد المفحم: وقد عارض هذا الأثر بعض من لا علم عنده من المقلدة بآية الضرب بالخُمُر، زاعمًا بأنها تعني تغطية الوجه ... كما زعم أن كشف يديها كان للذَّبِّ بها عن أبي بكر رضي الله عنه، وهذه ضرورة ... كأنه لا يعلم أنها لم تكن مُحرِمَة يحرم عليها القفازان، وأن الذَّبَّ المذكور يمكن أن يكون باليد الواحدة، فأين الضرورة المجوزة للكشف عن اليدين كلتيهما؟ (انظر الرد المفحم ٩٤/١).

قرائن السياق حول الأثر:

١- وهي امرأة بيضاء: وصفها بهذا الوصف يحتمل أنها كانت كاشفة عن وجهها، أو عرفوا بياضها من يديها. مع أن الأقرب لوصف المرأة بالبيضاء أن هذا لوصف الوجه.

٢- أسماء بنت عميس رضي الله عنها: إذا كانت كاشفة عن وجهها، فهل هي من القواعد من النساء؟ ليست من القواعد، لقد تزوجت

بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنجبت له، بل هي أنجبت محمد بن أبي بكر في حجة الوداع (انظر: تقريب التهذيب ت ٨٥٣١، سير أعلام النبلاء ٢/ ١٢٨٢).

٣- وشموها في الجاهلية: يبدو أن الوشم كان على الكفين، لأنها رضي الله عنها لن تبدي أكثر من ذلك -كذراعها مثلاً- وتغطية اليدين بالوشم، ربما يرجح أن وصف البياض كان لرؤية وجهها.

الأثر الحادي عشر:

عن أبي السليل قال: جاءت ابنة أبي ذر وعليها مجنبتا صوف سفعاء الخدين ومعها قفة لها، فمثلت بين يديه وعنده أصحابه، فقالت: يا أبتاه زعم الحراثون والزراعون أن أفلسك هذه بهرجة، فقال: يا بنية ضعيها فإن أباك أصبح بحمد الله ما يملك من صفراء ولا بيضاء إلا أفلسه هذه (حلية الأولياء ١/ ١٦٤، قال الألباني: إسناده جيد في الشواهد، انظر جلباب المرأة المسلمة ص ٩٧).

القرائن حول الأثر:

١- ابنة أبي ذر: لم أقف على عمر ابنة أبي ذر، فهل هي صغيرة لم تبلغ الحيض، بعدُ، أم كانت كبيرة؟.

٢- سفعاء الخدين: كانت كاشفة عن وجهها. وقد أورد الألباني الأثر في أدلة وشواهد جواز كشف الوجه والكفين، لكن يبقى الدليل على الاحتمال.

الأثر الثاني عشر:

عن قبيصة بن جابر قال: كنا نشارك المرأة في السورة من القرآن نتعلمها، فانطلقت مع عجوز من بني أسد إلى ابن مسعود في بيته. في ثلاثة نفر، فرأى جبينها يبرق، فقال: أتحلقينه؟ فغضبت، وقالت التي تحلق جبينها امرأتك. قال فادخلي عليها فإن كانت تفعله فهي مني بريئة. فانطلقت ثم جاءت فقالت: لا والله ما رأيتها تفعله... الحديث (انظر السلسلة الصحيحة تحت حديث ٢٧٩٢، آداب الزفاف صـ ٢٠٤، وقال: سنده حسن، وأخرجه ابن حبان بنحوه ح ٥٤٨١، وأبو داوود ح ٤١٦٩).

القرائن حول الأثر: عجوز من بني أسد: فهي متقدمة في السن، من القواعد من النساء. وقد أورد الألباني في شواهده على جواز كشف الوجه، ومن المؤكد أنه لم يخف عليه أنها عجوز، فربما أتى به استئناسًا على جواز كشف الوجه، وأن هذا كان معروفًا عند النساء ولو كانت المرأة من القواعد.

الأثر الثالث عشر:

عن أبي أسماء الرحبي أنه دخل على أبي ذر رضي الله عنه وهو بالربذة، وعنده امرأة له سوداء مشبعة ليس عليها أثر المجاسد ولا الخلوق، قال: فقال: ألا تنظرون إلى ما تأمرني به هذه السويداء؟ تأمرني أن آتي العراق، فإذا أتيت العراق مالوا عليَّ بدنياهم .... الحديث. (أخرجه أحمد في المسند ح ٢١٤١٦، وقال الأرناؤوط إسناده صحيح، وقال الألباني: سنده صحيح، جلباب المرأة المسلمة ص ٩٨) (مشبعة: كثيرة السواد، وفي رواية: مسغبة: أي جوعى. المجاسد: الثياب المصبوغة بالزعفران أو العصفر، الخلوق: الطيب المركب من الزعفران وغيره). أورده الألباني في شواهده على جواز كشف الوجه (جلباب المرأة المسلمة صـ ٩٨).

القرائن حول الأثر: امرأة له سوداء مشبعة: هل السواد وصف للونها، أم هو وصف لملابسها؟. ٢ - وتحته امرأة له سحماء (رواية للأثر عن أبي نعيم بسنده عند عبد الله بن خراش، قال: رأيت أبا ذر رضي الله عنه بالربذة في ظلة له سوداء، وتحته امرأة له سحماء .... قالوا: يا أبا ذر لو اتخذت امرأة غير هذه؟ قال: لأن أتزوج امرأة تضعني أحب إليَّ من امرأة ترفعني ... (الحلية ١/ ١٦٠، الطبقات الكبرى ٤/ ١٧٨، سحماء: سوداء. انظر جمهرة اللغة ١/ ٥٣٥).

فهذا يرجح أن المرأة كانت كاشفة عن وجهها وليس السواد وصفًا لملابسها.

٣- هل هي من القواعد من النساء؟ لم أقف على عمرها.

٤- لو اتخذت امرأة غير هذه؟ هذا يدل على دمامتها، فلا فتنة في إظهار وجهها عند من يرى ذلك، بدليل أن من دخل على أبي ذر سأله عندما رآها عن السبب في زواجها مع شديد قبحها الظاهر. (الجمال والقبح ليس له علاقة بلون البشرة، فكم من سوداء جميلة، وكم من بيضاء غير جميلة).

الأثر الرابع عشر:

أخرج ابن عساكر بسنده عن عطية: رأيت ابن الزبير على جذع مصلوبًا، وامرأة تُحمل في محفة حتى صارت إليه، فقال الناس: هذه أمه (أسماء رضي الله عنها) فرأيتها مسفرة الوجه مبتسمة... (تاريخ دمشق لابن عساكر ح ٨٧٠٣، أورده الألباني في الشواهد على جواز كشف الوجه صـ٩٨، جلباب المرأة المسلمة). قال الألباني: ومن المفيد أن نستدرك ما فاتنا في الطبعات السابقة من الآثار السلفية التي تنص على جريان العمل بذلك أيضًا بعد النبي صلى الله عليه وسلم. (يقصد جواز كشف الوجه) .فأقول: ثم ذكر آثارًا مرقمة، وذكر أثر أسماء رقم ٦ . وقد رد بعض أهل العلم على الألباني في استدلاله بهذا الأثر ردًا شديدًا (انظر الرد على كتاب الحجاب للألباني د. محمد نعيم سامي صـ٧٦).

القرائن حول الأثر: وامرأة تحمل على محفة: تقدمت أسماء رضي الله عنها في السن، وكانت قد جاوزت المائة من عمرها، فهي من القواعد .. وظني أن الألباني لم يخف عليه ذلك، وإنما هو يسوق جملة من الشواهد يريد بإيرادها أن يثبت أن كشف الوجه كان معروفًا بين النساء.

قلت: والأثر ليس فيه دلالة على جواز كشف الوجه، لأن أسماء رضي الله عنها كانت من القواعد من النساء.

الأثر الخامس عشر:

عن ميمون بن مهران قال: دخلت على أم الدرداء فرأيتها مختمرة بخمار صفيق قد ضربت على حاجبها، قال: وكان فيه قصر فوصلته بسير. قال: وما دخلت في ساعة صلاة إلا وجدتها مصلية (تاريخ دمشق لابن عساكر ١٥٨/٧٠, أورده الألباني في جلباب المرأة المسلمة صـ ١٠٢-١٠٣، من ضمن الآثار التي أوردها مستدلاً بها، على جواز كشف الوجه والكفين تحت رقم ١٤، وقال: وهذا إسناد صحيح). القرائن حول الأثر: أم الدرداء: طال عُمر أم الدرداء واشتهرت بالعلم والفقه والعمل والزهد، وهي أم الدرداء الصغرى (هجيمة)، وكان لها جمال وحُسن، وعاشت حتى أيام عبدالملك بن مروان الذي كان يجالسها لفقهها، وحجت في عام إحدى وثمانين وماتت بعد عام واحد وثمانين. يقول الحافظ ابن حجر: لا أعلم لها خبرًا يدل على صحبة ولا رؤية (انظر الإصابة ١٢٣/٨-١٢٤) .

٢- ميمون بن مهران: تابعي روى عن جمع من الصحابة، قيل: إن مولده عام موت علي رضي الله عنه سنة أربعين، وتوفي عام مائة وسبع عشرة، وقد سألها ميمون: هل سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا؟ قالت: نعم دخلت عليه وهو جالس في المسجد فسمعته يقول: ما يُوضع في الميزان أثقل من خُلق حسن (والسند ضعيف فيه شريك بن عبدالله القاضي وهو سيئ الحفظ).

ولم أقف على تاريخ مولد أم الدرداء، لكن بالنظر إلى تاريخ مولد ميمون وتاريخي وفاتهما يجعلني أرجح أنه دخل عليها عندما تقدمت في السن وصارت من القواعد (انظر الإصابة ١٢٣/٨-١٢٤, تقريب التهذيب ت ٧٠٤٩،٨٧٢٨ تهذيب الكمال ١٧٣/٩-١٧٤).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين

مجلة التوحيد

عبق الماضي وأريج المستقبل

إعداد **محمد محمود فتحي**

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله، وبعد:

لم يكن صدور مجلة التوحيد في سبعينات القرن الماضي صدفة زمنية مجردة، بل كان رمزًا تاريخيًا، لقد حاولت خلال تلك السنوات الطوال أن تكون شاهدًا حيًا علي ما يحدث في عالمنا من أحلام تحققت وآخرى تبددت، ومن أفكار سادت وتركت آثرا وآخرى ماتت قبل أن ندرك غايتها، وأن ترصد كل تحولاته الدينية والاجتماعية، وأن تقوم بدورها التنويري بعيدًا عن أهواء السياسة والصراعات الحزبية، لقد حافظت مجلة التوحيد طوال خمسة عقود علي تميزها ومكانتها الدينية والثقافية، التي جعلت القارئ يقبل عليها جيلًا بعد جيل، وأصبحت بمنزلة الجامعة الإسلامية التي يأوي إليها في كل مكان ليتزود بفكرها وينهل من معينها الذي لا ينضب أبدًا بإذن الله.

إننا لا يسعنا ونحن نستشعر الفخر بهذا الصرح الإسلامي الشامخ إلا أن نوجه تحية إجلال وإكبار لكل من ساهم في بناء هذه المنارة العالية وحافظ علي مكانتها الكبيرة وتميزها المستمر. وما زالت يد الرعاية ممدودة لهذة المجلة الرائدة من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ليصل شعاعها إلي كل ربوع مصر والوطن العربي، لتثبت جدارتها بالنمو والامتداد في نصف قرن جديد، أعاده الله علينا وعلى مجلتنا الغراء بالخير والبركات.

مجلة التوحيد بين الماضي والحاضر

لكل زمان مضي آية
وآية هذا الزمان الصحف

لو اقتصرت دراسة تاريخ المجلة علي قراءة الصفحات وبحث رسائلها واستخلاص أهدافها فقط، فإنها مهددة أن تصبح نظرة قاصرة ومقصرة، ذلك أن المطبوعة الورقية كائن حي ، يولد وينمو، أو يذوى ويموت، وهي ككل كائن يلقى المصاعب في المولد والحياة، ولابد أن يتوافر لها في الأصل سبب الوجود وشروط الحياة والاستمرار، لذلك كان حري بنا أن نستعرض جوانب المجلة المتنوعة حتى تكتمل الصورة وتتضح الرؤية.

فمجلة التوحيد مجلة إسلامية، ثقافية شهرية، تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية، منذ عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، وهي تعتمد في تحريرها علي جهاز محدود من رئيس التحرير ونائبه أو مدير التحرير، وسكرتير التحرير، والإخراج الصحفي، وعدد من الكتاب الدائمين، ثم تستكتب بعد ذلك عددًا أكبر من الكتاب والعلماء والأدباء.

والمادة المكتوبة هي أساس البنيان وقاعدته المتينة، لذلك حرصت المجلة منذ رعيلها الأول علي تأسيس لجنة علمية يقودها رجال أكفاء لهم باع طويل في العلم والفضل وحسن الديانة، لمراجعة كل ما يرد إليها من مقالات وأبحاث لتظهر للقارئ مكتملة الأركان عالية البنيان بلا خلل أو تقصير.

والمجلة تحتاج بالضرورة إلى التنوع والتعدد والاتزان، وهذا الذي يعطيها طابعها الخاص، فالتنوع يفيد القارئ حتي لا ترص المقالات رصًا، وتتعدد أشكال عرض المادة فهي تارة بحث رصين مكثف، وتارة مقال من صفحتين أو ثلاث ، وتارة أبواب ثابتة ك(افتتاحية العدد، باب التفسير، باب السنة، باب الفتاوي، باب الفقه، باب الأسرة المسلمة، باب الاقتصاد، واحة التوحيد)، وهناك بعض الأبواب القديمة (أخبار العالم الإسلامي، أخبار الجماعة، قالت الصحف)، واختلاف الأبواب رحمة بالقراء حتي لا يصابوا بالملالة والرتابة.

ننتقل بعد ذلك للحديث عن الجماليات وهو في الحقيقة حديث مهم جدًا، فبعد أن دخلت الإلكترونيات في الطباعة أصبحت هناك وسائل حديثة للجذب البصري والتشويق للقارئ، وقد كانت المادة العلمية للمجلة تجمع قديمًا عن طريق الجمع التصويري قبل ظهور أجهزة الحاسب الآلي، حيث يتم استخراج المقالات علي ورق البروميد ويقوم المخرج الصحفي بتقطيع الصور الورقية حيث يتم وضعها خلال الصفحات، أما الآن فمع الثورة في التكنولوجيا تم دمج هذه التعقيدات داخل جهاز الحاسب الآلي ، حيث أصبحت الأمور أيسر والكفاءة أعلي.

أما بالنسبة للغلاف فهو واجهة العرض للمجلة وهو ينقسم لثلاثة أقسام:

- الشعار التجاري (اللوجو) والتاريخ الهجري.
- الصور .
- العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية.

وكذلك تنسيق المادة الداخلية والألوان، حيث تقطع الصورة مجرى الكلمات لتخفيف الضغط علي العين، فلا يصبح الكلام زحامًا مكدسًا، كما يقطع تنوع الطول والقصر وتركيز الأبواب من الرتابة حتي يتوافق الشكل مع المضمون.

ونستعرض فيما يلي ألوان الطباعة وعدد الصفحات وثمن المجلة خلال نصف قرن.

-(عام ١٣٩٣هـ - إلي ١٣٩٨هـ) تم الطباعة باللون الأسود، وبلغ عدد الصفحات(٥٥ صفحة)، وثمن المجلة ٤٠ مليمًا.

-(عام ١٣٩٩هـ- إلي ١٤٠٢هـ) تم الطباعة باللون الأسود والبرتقالي، وبلغ عدد الصفحات(٤٨صفحة)، وثمن المجلة ٦٠ مليمًا.

-(عام عام ١٤٠٣هـ - إلي ١٤٠٧هـ) تم الطباعة باللون الأسود والبرتقالي، وبلغ عدد الصفحات (٤٨صفحة)، وثمن المجلة ١٠٠ مليمًا.

-(عام ١٤٠٨هـ - إلي ١٤٠٩هـ) تم الطباعة باللون الأسود والبرتقالي، وبلغ عدد

الصفحات(٤٨ صفحة)، وثمن المجلة ٢٠ قرشًا.

-(عام ١٤١٠هـ - إلي ١٤١٢هـ) تم الطباعة باللون الأسود والبرتقالي، وبلغ عدد الصفحات (٥٦صفحة)، وثمن المجلة ٢٥ قرشًا.

-(عام ١٤١٣هـ) تم الطباعة باللون الأسود والبرتقالي، وبلغ عدد الصفحات(٥٦ صفحة)، وثمن المجلة ٤٠ قرشًا.

-(عام ١٤١٤هـ - إلي ١٤١٦هـ) تم الطباعة باللون الأسود والبرتقالي للملزمة الأولى، الأخضر والأسود للملزمة الثانية، وبلغ عدد الصفحات(٦٤صفحة)، وثمن المجلة ٥٠ قرشًا.

-(عام ١٤١٧هـ - إلي ١٤٢٢هـ) تم الطباعة باللون الأسود والبرتقالي للملزمة الأولى، الأخضر والأسود للملزمة الثانية، وبلغ عدد الصفحات(٦٤صفحة)، وثمن المجلة ٧٥ قرشًا.

-(عام ١٤٢٣هـ - إلي ١٤٢٥هـ) تم الطباعة باللون الأسود والبرتقالي للملزمة الأولى، الأخضر والأسود للملزمة الثانية، وبلغ عدد الصفحات(٧٣صفحة)، وثمن المجلة جنيه واحد.

-(عام ١٤٢٦هـ - إلي١٤٣١هـ) تم الطباعة باللون الأسود والبرتقالي للملزمة الأولى، الأخضر والأسود للملزمة الثانية، وبلغ عدد الصفحات(٧٣صفحة)، وثمن المجلة ١٥٠ قرشًا.

-(عام ١٤٣٢هـ - إلي ١٤٣٧هـ) تم الطباعة باللون الأسود والبرتقالي للملزمة الأولى، الأخضر والأسود للملزمة الثانية، وبلغ عدد الصفحات(٧٣صفحة)، وثمن المجلة ٢٠٠ قرشًا.

-(عام١٤٣٨هـ - إلي١٤٤٠هـ) تم الطباعة باللون الأسود والبرتقالي للملزمة الأولى، الأخضر والأسود للملزمة الثانية، وبلغ عدد الصفحات(٧٣صفحة)، وثمن المجلة ٣٠٠ قرشًا.

-(عام ١٤٤١هـ - إلي١٤٤٣هـ) تم الطباعة باللون الأسود والبرتقالي للملزمة الأولى، الأخضر والأسود للملزمة الثانية، وبلغ عدد الصفحات(٧٣صفحة)، وثمن المجلة ٥٠٠ قرشًا.

لقد تطور شكل المجلة خلال الأعوام الماضية فأصبح أكثر اتساقًا مع الذوق والعصر.

كتّاب التوحيد في نصف قرن

إنه ليس من الانصاف أن نقصر الحديث علي رؤساء مجلس الإدارة ورؤساء التحرير، بل لابد أن يمتد إعادة الفضل في نشر مجلة التوحيد وانتشارها إلي الكتاب والعلماء الذين شاركوا في إنشاء ٦٠٠ عدد من أعداد التوحيد، حتي بلغت من عمرها نصف قرن.

لقد كان لكتاب التوحيد على مدى تلك السنوات الطوال، الفضل الكبير في استمرار المجلة وانتشارها الواسع بما حباهم الله من علم وتقوى وأدب وإخلاص وقلم سيال وأسلوب رقراق ولغة عذبة، مع البراعة وسعة الاطلاع والتبحر في شتى ميادين العلم، وفهم للواقع ولمستجدات العصر، فكانت المقالات تجسيدًا لحاضرنا بما فيه من أحداث ومُلمات، أوبة لماضينا الشامخ لتبث الثقة في النشء الجديد، ليعلم أننا أمة تضرب بجذورها بواطن الأرض، وتلامس أغصانها السماء.

لقد اعتدنا أن نبحر معهم في تراثنا الإسلامي، من تفسير وحديث وفقه ولغة، فما مللنا الإبحار، بل كلما خارت عزائمنا وانهارت قوانا، وداهمتنا الأمواج العاتية، وجدنا لديهم الزاد لنكمل ما بدأناه، إبحار دام لخمسة عقود في بحور العلم المتلاطمة.

بحور العلم أمواجها متتابعات قد أبانت ما اندثر
وزوارق الرحلات فيها حافلات بالعبر.

إن صرحًا شامخًا كمجلتنا الغراء، كان لابد له من كتاب مهرة لإحكام الأساس وتثبيت البنيان، إننا نرنو بأبصارنا إليهم ليستمر العطاء، عطاء خمسة عقود مضت، وما زلنا بانتظار أعطيات الله في المستقبل القريب

والبعيد.

وفيما يلي نستعرض أسماء الكتاب وعدد مقالاتهم خلال نصف قرن.

- فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله شاكر، عدد المقالات : ٢١٤ مقال.
- فضيلة الشيخ الدكتور عبد العظيم بدوي، عدد المقالات :٣٠٤ مقال.
- فضيلة الشيخ الدكتور مرزوق محمد مرزوق، عدد المقالات : ٧٦ مقال.
- فضيلة الشيخ الدكتور جمال عبد الرحمن، عدد المقالات : ٢١٦ مقال.
- فضيلة الأستاذ جمال سعد حاتم، عدد المقالات : ٢٣٩ مقال.
- فضيلة الشيخ الدكتور محمد عبد العزيز، عدد المقالات : ١٠٦ مقال.
- فضيلة الشيخ معاوية محمد هيكل، عدد المقالات :١٤٠ مقال.
- فضيلة الدكتور حمدي طه، عدد المقالات : ١٢٥ مقال.
- فضيلة الشيخ على حشيش، عدد المقالات : ٤٩١ مقال.
- فضيلة الدكتور متولي البراجيلي، عدد المقالات : ٢٠٣ مقال.
- فضيلة الدكتور عماد عيسى، عدد المقالات : ٣٦ مقال.
- فضيلة المستشار أحمد السيد علي، عدد المقالات :١١٨ مقال.
- فضيلة الشيخ صلاح عبد الخالق، عدد المقالات :٥٤ مقال.
- فضيلة الدكتور محمد عبد العليم الدسوقي، عدد المقالات : ١٠٦ مقال.
- الدكتورة عزة محمد رشاد، عدد المقالات : ٢٧ مقال.
- فضيلة الشيخ علاء خضر، عدد المقالات : ٤٩ مقال.
- فضيلة الشيخ صلاح نجيب الدق، عدد المقالات : ١٠٣ مقال.
- فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد منصور سبالك، عدد المقالات : ٣٠ مقال.
- فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي- رحمه الله، عدد المقالات : ٢٥ مقال.
- فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين رحمه الله، عدد المقالات : ٢٨٢ مقال.
- فضيلة الشيخ صفوت الشوادفي رحمه الله، عدد المقالات، عدد المقالات : ١٠٨ مقال.
- فضيلة الشيخ الدكتور جمال المراكبي ، عدد المقالات : ١٢٠ مقال.
- فضيلة الشيخ محمود المراكبي-رحمه الله، عدد المقالات : ٥٣ مقال.
- فضيلة الشيخ زكريا حسيني- رحمه الله، عدد المقالات، عدد المقالات: ٧٦ مقال.
- فضيلة الشيخ بدوي محمد خير طه -رحمه الله، عدد المقالات: ٣٩ مقال.
- فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر، عدد المقالات :٢٢ مقال.
- فضيلة الشيخ مجدي قاسم -رحمه الله، عدد المقالات: ٢٨ مقال.
- فضيلة الشيخ أحمد طه نصر- رحمه الله، عدد المقالات: ٥٤ مقال.
- فضيلة الشيخ حسن عبد الوهاب البنا -رحمه الله، عدد المقالات: ٦ مقالات.
- فضيلة الشيخ إبراهيم حافظ رزق، عدد المقالات: ٦ مقالات.
- فضيلة الشيخ عبده أحمد الأقرع، عدد المقالات: ١٠٣ مقال.
- فضيلة الدكتور محمد إبراهيم الحمد، عدد المقالات :١٦ مقال.
- فضيلة الدكتور محمد بكر إسماعيل، عدد المقالات :٢٧ مقال.
- فضيلة الدكتور سيد عبد الحليم، عدد المقالات :٤٨ مقال.
- فضيلة الدكتور الوصيف علي حزة، عدد المقالات :٤١ مقال.
- فضيلة الشيخ أسامة سليمان، عدد المقالات :١٤٩ مقال.
- فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، عدد المقالات :١١ مقال.
- فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه

الله، عدد المقالات :٨٩ مقال.

- فضيلة الشيخ الدكتور سعيد عامر، عدد المقالات :٧٠ مقال.
- فضيلة الشيخ مجدي عرفات، عدد المقالات :٧٠ مقال.
- فضيلة الشيخ سيد سابق- رحمه الله، عدد المقالات :٢٤ مقال.
- فضيلة الشيخ محمد عبد الحكيم القاضي، عدد المقالات :٢٩ مقال.
- فضيلة الشيخ محمد جميل غازي، عدد المقالات :٤٦ مقال.
- فضيلة الشيخ مصطفى عبد اللطيف درويش- رحمه الله، عدد المقالات :٤٢ مقال.
- فضيلة الشيخ بخاري أحمد عبده- رحمه الله، عدد المقالات :٨٠ مقال.
- فضيلة الشيخ محمد رزق ساطور- رحمه الله، عدد المقالات :٤١ مقال.
- فضيلة الدكتور عيسى عبده- رحمه الله، عدد المقالات :٩ مقالات.
- فضيلة الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله، عدد المقالات :١٠ مقالات.
- فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله، عدد المقالات :١١ مقال.
- فضيلة الشيخ فتحي أمين عثمان ، عدد المقالات :٦٧ مقال.
- فضيلة الشيخ الدكتور علي السالوس، عدد المقالات :٨٥ مقال.
- فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله، عدد المقالات :٢٤ مقال.
- فضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر- رحمه الله، عدد المقالات : ٨ مقالات.
- فضيلة الشيخ أبو الوفاء محمد درويش - رحمه الله، عدد المقالات : ١٨ مقال.
- فضيلة الشيخ أبو إسحاق الحويني، عدد المقالات : ٩٤ مقال.
- فضيلة الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف رحمه الله، عدد المقالات : ١٣ مقال.
- فضيلة الدكتور حسين حسين شحاتة، عدد المقالات : ٣٧ مقال.

(موقع محبي مجلة التوحيد).

عبق الماضي وأريج المستقبل

هذه نسمات من عبير مجلة التوحيد وأريجها الفواح، تعكس صورة مشرقة لما كانت عليه في الأعوام الماضية، ورغم تطاول الزمن وتغير الأيام ، وتلك الرياح العاتية من حملات التغريب والتشويه والهدم، من أعداء الأمة وأدعياء المدنيّة الزائفة، ظلت التوحيد متماسكة ومتفردة ولها الأيادي البيضاء في الدفاع عن الإسلام وقضايا الأمة ومحاربة الخرافات والأباطيل وتنقيح السنة الغراء ليعود الإسلام غضًا كما بدا.

لقد صدر خلال نصف قرن العديد من المجلات الإسلامية والثقافية،لكن الأمر المؤكد هو أن مجلة التوحيد انفردت بخصائص التميز الايجابي، لا من حيث استمرار الصدور بانتظام وحسب، بل من حيث استمرار التجدد، حتى صارت التوحيد فصولًا متلاحقة من موسوعة دائمة الحضور في البيوت، يعودون إليها ويرتاحون معها، ويغترفون من صفحاتها الشئ الكثير.

وأعتقد أن المال وحده لا يكفي، والكاتب الجيد لا يكفي، والصورة الجيدة لا تكفي، إذا لم يكن هناك نظام يوصل المجلة لقارئها، فالمجلة بقارئها تعيش وتتطور، وبدونه تتحول إلي ركام من الورق.

لقد أضحت مجلة التوحيد التي ازدانت خلال نصف قرن عقدًا فريدًا في جيد الثقافة الإسلامية، ومَثّلت نهضة تآخت مع المجتمع الإسلامي علي اختلاف توجهاته ومشاريه، ولن تتنافر أبدًا بإذن الله.

وإذا كان للتاريخ معنى متصل الحلقات بين الماضي والحاضر، فهل تستطيع مجلة التوحيد أن تكون مصنع نهضة ووسيلة توحيد كما كانت بالأمس؟ سؤال نطرحه في عمرها الخمسين، حاملًا تقديرنا لدورها المشهود خلال نصف قرن.

والحمد لله رب العالمين.

صلاة المسافر

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد تكلمنا في اللقاء السابق عن حكم نية القصر، ومتى يبدأ المسافر القصر، والمسافة التي يجوز للمسافر القصر فيها، وذكرنا أن الفقهاء اختلفوا اختلافًا كثيرًا في تقدير مسافة السفر التي يُقصر فيها الصلاة على نحو عشرين قولاً، معظمها لا دليل معتبر عليها، وذكرنا أشهر هذه الأقوال، ونبدأ في هذا اللقاء الحديث عن أدلة هذه الأقوال وأرجحها من حيث الدليل.

ونحن قبل أن نبدأ بالمناقشة التفصيلية لهذه الأقوال نذكر جملة من الضوابط الأصولية المعتبرة والتي نحتاج إليها في بيان الراجح في هذه المسألة:

أ- إن الحكم حتى يكون شرعيًا لا بد من أن يُؤخذ من الشرع، أي من أدلته المعتبرة، وهي الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقياس.

ب- إذا جاء قولٌ أو فعلٌ لصحابي، ثم جاء قولٌ أو فعلٌ مغايرٌ لصحابي آخر فإن ذلك يعني أنه قولٌ أو فعل اجتهاديٌ، وليس قولاً أو فعلاً مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا نُقل عن صحابي واحد قولان أو فعلان مختلفان كان ذلك مَدعاةً لرفض كلا القولين أو الفعلين وعدم جواز العمل بأيٍّ منهما، إلا أن يكون أحدهما قد نُقل بسند ضعيف فيُطرح، ويُؤخذ الآخر إن كان قد نُقل بسند صحيح أو حسن.

ج- إن الحقائق الشرعية مقدَّمة على الحقائق اللغوية، ولا يُعمل بالحقائق اللغوية إلا في حالة عدم وجود حقائق شرعية.

د- إذا ورد في مسألةٍ نصٌ من كتاب الله

أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وورد في المسألة نفسها قول صحابي أُخذَ فقط بالنص من كتاب الله أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتُرك قول الصحابي، إلا أن يكون هذا القول شرحًا أو تفسيرًا للنص، فلا بأس بأخذه عندئذ.

هـ- إذا ورد نصٌّ في مسألة عولجت المسألةُ بهذا النص وقُصرَ النصُّ عليها، ولم يَجُزْ علاج أية مسألة أخرى به، إلا أن تكون بين المسألتين علةٌ مشتركةٌ ظاهرةٌ في النص صراحةً أو دلالةً، وإلا فلا قياس مطلقًا لا سيما في العبادات.

القول الأول للحنفية ومن وافقهم: أقل ما تقصر فيه الصلاة مسيرة ثلاثة أيام ولياليها من أقصر أيام السنة في البلاد المعتدلة، واستدلوا علي ذلك بأدلة منها:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم. رواه البخاري، ومسلم.

فجعل السفر ثلاثة أيام ولم يجعل أقل من ذلك أو ما دون ذلك سفر يجب عليها فيها إخراج المحرم معها؛ فكذلك الصلاة لا تقصر فيما دون ذلك (انظر: الحجة على أهل المدينة للشيباني ١/١٦٧).

> إن الحكم حتى يكون شرعيًا لا بد من أن يُؤخذ من الشرع، أي من أدلته المعتبرة، وهي الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقياس.

وأجيب عليهم: بأن الحديث الذي ذكروه ليس فيه أن السفر لا يُطلق إلا على مسيرة ثلاثة أيام، وإنما فيه أنه لا يجوز للمرأة أن تسافر بغير محرم هذا السفر الخاص. (انظر: المجموع للنووي ٤/٣٢٩).

وعن شريح بن هانئ قال سألت عائشة رضي الله عنها عن المسح على الخفين؛ فقالت ائت عليًا فإنه أعلم بذلك مني، فأتيت عليًا فسألته عن المسح فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن يمسح المقيم يومًا وليلة والمسافر ثلاثا. رواه النسائي.

ووجه التمسك به أنه يقتضي أن كل من صدق عليه أنه مسافر شرع له مسح ثلاثة أيام؛ إذ اللام في قوله «والمسافر» للاستغراق كما في جانب المقيم، ولا يتصور ذلك إلا إذا قدر أقل مدة السفر بثلاثة أيام؛ لأنه لو قدر بأقل من ذلك لا يمكنه استيفاء مدته لانتهاء سفره فاقتضى تقديره به ضرورة وإلا لخرج بعض المسافرين عنه (انظر: تبين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي ١/٢١٠).

وأجيب عليهم: بأن الحديث الذي ذكروه جاء لبيان أكثر مدة المسح فلا يصح الاحتجاج به ها هنا. (انظر: المغني لابن قدامة ٢/٩١).

مناقشة أدلة الحنفية:

إن هذين الحديثين لا يدلان على دعواهم بحالٍ من الأحوال، وذلك أن الحديث الأول قد جاء في موضوع خاصٍّ بسفر المرأة فيُقصَرُ عليه ولا يتعداه إلى غيره، والمعلوم فقهيًا أن النص إذا جاء مخاطبًا النساء قُصرَ عليهن ولم يدخل فيه الرجال بحال، فلا يشمل هذا الحديث سفر الرجل، فضلاً عن أنه في غير موضوع قصر الصلاة.

وأما الحديث الثاني فقد جاء في موضوع المسح في الوضوء فيُقصَرُ عليه، ولا يُنقلُ إلى موضوع

قصر الصلاة في السفر.

وإذن فإن هذين الحديثين لا يصح أن يؤتى بهما على موضوعنا، فسفر المرأة غير قصر الصلاة، والمسح في الوضوء غير قصر الصلاة، وحيث أن هذين النصين قد جاءا في موضوعين منفصلين تمامًا عن موضوع قصر الصلاة، وحيث أنهما لا يشتركان مع قصر الصلاة بأية علة، فإن القياس هنا لا يصح.

إننا لا نخالفهم في أن السير ثلاثة أيام ولياليها يعتبر سفرًا، ولكننا نقول: إن الثلاثة أيام ولياليها لم تأت في الحديثين شرطًا ولا تقييدًا للسير حتى يعتبر سفرًا، وإنما جاءت تقييدًا زمنيًا لسفر المرأة وللمسح في الوضوء فحسب، ولا أدل على خطأ دعواهم من أنه ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسافر المرأة يومين إلا معها زوجها أو ذو محرم». رواه البخاري ومسلم.

والحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة»، رواه البخاري ومسلم. فهذا نص صحيح صريح على أن مسيرة يوم وليلة يطلق عليها اسم السفر، وهي ثلث المسيرة التي جعلوها شرطًا وتقييدًا للسير حتى يصح إطلاق اسم السفر عليه.

> **إن الحقائق الشرعية مقدّمة على الحقائق اللغوية، ولا يُعمل بالحقائق اللغوية إلا في حالة عدم وجود حقائق شرعية.**

بل إن هناك أحاديث صالحة أطلقت اسم السفر على ما دون هذا وذاك بكثير.

القول الثاني للجمهور المالكية والشافعية والحنابلة ومن وافقهم: السفر الطويل المبيح للقصر المقدر بالزمن: يومان معتدلان أو مرحلتان بسير الأثقال ودبيب الأقدام، ويقدر بالمسافة ذهابًا: بأربعة بُرُد أو ستة عشر فرسخًا، أو ثمانية وأربعين ميلاً هاشميًا، وتقدر بحوالي (٨٩ كم)، واستدلوا علي ذلك بأدلة منها:

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها». رواه البخاري ومسلم.

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف المرأة بأنها مسافرة إذا قطعت مسيرة اليوم، وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه خرج دون اليوم، فخرج إلى الخندق، وخرج إلى أحد، وخرج إلى قريظة وهي على أربعة أميال من المدينة، ومع هذا لم يقصر الصلاة، فثبت بهذا أن أقل ما سمي في الشرع سفرًا هو مسيرة اليوم، فثبت أن ما دون اليوم ليس بسفر لخروجه إلى أحد وخروجه إلى بني قريظة وهم خارج المدينة برازًا، ومع ذلك لم يقصر الصلاة، فدل على أن ما دون اليوم ليس بالسفر، وأن من خرج إلى مسيرة اليوم أنه مسافر؛ لأن الشرع يريد أن يمنع المرأة من أقل ما يصدق عليه أنه سفر فقال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة...». (انظر: دروس عمدة الفقه للشنقيطي).

ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل مطلق خروجه من المدينة سفرا، وقد بعث الصحابة في بعض الأماكن ولم يأمر بقصر الصلاة، ولم يُجرِ عليهم أحكام السفر فيما دون مسافة اليوم والليلة.

فالشاهد من هذا أن من يقول: إن تحديد العلماء لليوم والليلة إنما هو بالأهواء والآراء، وأنه لا

دليل، هذا ليس بصحيح.

فالجمهور لما قالوا: إنه لا بد من مسافة للسفر، فهذا شيء باستقراء الشرع. قالوا ما وجدنا الشرع يسمي السفر سفرًا إلا في مسيرة اليوم والليلة، وما معنى قوله: أن تسافر مسيرة يوم وليلة هو يريد أن يمنعها أن تسافر وحدها، فجاء وسمى هذه المسيرة سفرًا، فنحن ندين الله أن هذه المسيرة سفر؛ لأن الله ورسوله سماها سفرًا، هذا ليس بأهواء بل هو من النص. (انظر: دروس عمدة الفقه للشنقيطي).

وأجيب عليهم: بأنه لا يخفى أنه لا دليل فيه على أنه لا يسمى الأقل من هذه المسافة سفرًا، وانما هذا تحديد للسفر الذي يجب فيه المحرم.

ولا تلازم بين مسافة القصر ومسافة وجوب المحرم لجواز التوسعة في إيجاب المحرم تخفيفًا على العباد (انظر: سبل السلام للصنعاني ٢/٣٩).

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثم يا أهل مكة لا تقصروا الصلاة في أدنى من أربعة برد من مكة إلى عسفان». رواه البيهقي وضعفه. والصحيح أن ذلك من قول ابن عباس رضي الله عنهما فعن عطاء بن أبي رباح قال: قلت لابن عباس: أقصر إلى عرفة؟ قال: لا، ولكن إلى الطائف وعسفان. رواه ابن أبي شيبة وإسناده صحيح.

> فالجمهور لما قالوا: إنه لا بد من مسافة للسفر، فهذا شيء باستقراء الشرع.

وأجيب عليهم: بأن نهيه عنالقصر إلى منى وعرفة قد يكون لمن يقصد ذلك لحاجة، ويرجع من يومه إلى مكة حتى يوافق ذلك ما تقدم من روايات عنه (انظر: مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ١/٢٧٨).

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ركب إلى ريم فقصر الصلاة مسيرة ذلك نحو أربعة برد. رواه مالك في الموطأ.

وأجيب عليهم: بأنه ليس في حديث نافع عن ابن عمر أنه منع القصر في أقل من أربعة برد، وابن عمر رضي الله عنهما ثبت عنه أنه قصر في أقل من هذه المسافة (انظر: في هذا المحلى لابن حزم ١٢/٥).

مناقشة أدلة الجمهور:

١- أما الاحتجاج بحديث أبي هريرة فيُجاب عنه بما أجيب عن حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي احتج به الحنفية.

٢- وأما الاحتجاج بقول ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما فيجاب عنه، بأنّ من أحب أن يقلد، أو يتَّبع ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما كما فعل الجمهور فليفعل، ولكننا هنا لسنا بصدد تقليد أو اتباع أحد، وإنما نريد أن نستنبط الحكم الشرعي من النصوص الشرعية، ثم إن أقوال الصحابة- وهي ليست أدلة شرعية- تُعتبر غير صالحة للاحتجاج إن هي تعارضت واختلفت، ونحن في مسألتنا هذه نجد أقوال صحابة وأفعالاً لصحابة تخالف قول ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما، مما يضطرنا إلى عدم أخذ هذا الرأي.

قال ابن تيمية في الرد على مذهب الحنفية والجمهور: "إنه ليس تحديد من حد المسافة بثلاثة أيام بأولى ممن حدها بيومين، ولا اليومان بأولى من يوم، فوجب أن لا يكون لها حد" (انظر: مجموعة الرسائل والمسائل ٢/٢٥٤).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الشباب عماد الأمَّة

إعداد الشباب لتحمُّل المسؤولية

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه. وبعد..

فقد تحدثنا في العدد السابق عن مميزات سن الشباب وهي:

١. النشاط والقوة، والحماسة والفتوة.
٢. ذو مواهب وطاقات مع قلة الوعي والعلم والخبرات.
٣. ظهور المراهقة وتوهج الشهوة.

وقلنا: إن هذه الخصائص تحتاج ضرورةً إلى ثلاثة مطالب من المربين والمسؤولين:

أولاً: التربية والتوجيه، والتوعية والتنبيه.

ثانيًا: إشعار الشباب بالمسؤولية وإعدادهم لتحملها.

ثالثًا: تزكية نفوسهم لضبط غرائزهم وشهواتهم. وقد تكلمنا عن المطلب الأول الذي هو مجال التربية والتوجيه. وهذه المرة نتحدث عن المطلب الثاني وهو:

تدريب الشباب على تحمُّل المسؤولية:

إن الشاب إذا غرس فيه المربون الثقة وأخذوا بسواعده نحو القيام بالمهمات، فإن الشاب وإن كان جسمه صغيرًا وخبرته قليلة؛ لكنه بالإرشاد والتوجيه والمساعدة وزرع الثقة فيه؛ مع ما في هذا النشء من الذكاء والمواهب يستطيع أن

ينجز أعمالاً كثيرة بل ويبتكر ويخترع، ويوفر مجهود الكبار الذين يعييهم كثرة العمل والحركة.

وهذا واقع نلمسه ونراه بأم أعيننا في واقع الحياة العملية، وإن رسولنا صلى الله عليه وسلم كان قدوة في هذا المنحى، وانظر إليه صلى الله عليه وسلم في هذا المشهد:

أ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِغُلَامٍ يَسْلُخُ شَاةً فَقَالَ لَهُ: «تَنَحَّ حَتَّى أُرِيَكَ فَإِنِّي لَا أَرَاكَ تُحْسِنُ تَسْلُخُ». قَالَ: فَأَدْخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ فَدَحَسَ بِهَا حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الْإِبْطِ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَكَذَا يَا غُلَامُ فَاسْلُخْ». ثُمَّ انْطَلَقَ صلى الله عليه وسلم فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ ولم يمس ماءًا. يعني لم يتوضأ من سلخه للشاة. (رواه أبو داود ح١٧٩. وصححه الألباني). رحم الله الجميع.

فهذا من النبي صلى الله عليه وسلم تعليم وتوجيه وتصحيح عملي فوري للخطأ وممارس الصواب وادراج للشاب في الممارسة الصحيحة، وليس بإبعاده بدعوى أنه لا يحسن فعل الشيء، ومن المربين من يقع في خطأ فادح: فإذا رأى الأب ابنه أخفق في فعل شيء أو رأت الأم ابنتها أخفقت في طبخ أو أي مهمة منزلية، قاموا بتأنيب الأولاد واستبعادهم ليقوم الأبوان كل واحد منهما بالعمل بنفسه. ومثل هذا السلوك سيؤخر تعليم الأولاد أمور الحياة وتحمل المسؤولية، مما يؤخر أيضا ذكاءهم وابتكارهم، والانتفاع بهم، ويصبحون مجرد عالة على الأسرة، ويصبح الوقت متوفرًا عند الأولاد للعبث واللعب ومصاحبة الأشرار، ويا له من دمار. لكن المربي الفاهم الواعي لا يقع في مثل هذه الأخطاء.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا كُنْتَ فَعَلْتَهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟». (رواه البخاري في الأدب المفرد ح٢٧٧/٢١١. وصححه الألباني).

قال ابن الجوزي رحمه الله:

وَقَوله: مَا قَالَ لي: لم فعلت. اعْلَم أَنه اتّفق فِي هَذَا ثَلَاثَة أَشْيَاء: أَحدهَا: كَون أنس صَبيًا، وَالصَّبِيّ يُصفح عَن خطئه. وَالثَّانِي: أَنه كَانَ عَاقِلا، وَلِهَذَا قَالَ أَبُو طَلْحَة: إِن أنسا غُلَام كيس: أَي عَاقل. وَلَقَد قَالَت لَهُ أمه: أَيْن تذْهب يَا أنس؟ قَالَ: فِي حَاجَة لرَسُول الله صلى الله عَلَيْه وَسلم. قَالَت: مَا هِيَ؟ قَالَ: إِنَّهَا سر، وَلم يخبرهَا. وَمَتى كَانَ الْخَادِم عَاقِلا لم يُلَمْ، وَقد أنشدوا:

إِذا كنت فِي حَاجَة مُرْسلًا
فَأَرْسل حكيمًا وَلَا تُوصِه

وَالثَّالِث: حلم رَسُول الله صلى الله عَلَيْه وَسلم وعفوه. فَلهَذِهِ الْأَشْيَاء امْتنع لوم أنس. (كشف المشكل من حديث الصحيحين ح١٦١٢/١٩٦٢. لابن الجوزي).

هذه التربية النظيفة أثمرت شابًا ذكيًا يعرف ما يقول ويفعل، وانظروا إلى أنس رضي الله عنه في الحديث الآتي وهو يقول:

«خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ فَرَغْتُ مِنْ خِدْمَتِهِ، قُلْتُ: يَقِيلُ (يرتاح وقت القيلولة) النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ، فَإِذَا غِلْمَةٌ يَلْعَبُونَ، فَقُمْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: إِلَى لَعِبِهِمْ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْتَهَى إِلَيْهِمْ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، ثم دَعَانِي، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَكَانَ فِي فَيْءٍ (ظل) حَتَّى أَتَيْتُهُ.

وَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي فَقَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا هِيَ؟ قُلْتُ: إِنَّهُ سِرٌّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: احْفَظْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرَّهُ، فَمَا حَدَّثْتُ بِتِلْكَ الْحَاجَةِ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ». (رواه البخاري في الأدب المفرد ح١١٥٤/٨٨٥ وصححه الألباني).

ولعلنا نلحظ في هذا الحديث أيضا من الفوائد حساب الوقت وسؤال الأولاد عن دخولهم وخروجهم وتأخيرهم. وعلى الشاب ألا يمتعض من ذلك كما يفعل بعض شبابنا هذه الأيام هداهم الله.

ب - ومن ثمار الإعداد لتحمل المسؤوليات، ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع أسامة بن زيد رضي الله عنه لما كلفه الرسول عليه الصلاة والسلام بقيادة الجيش لغزو الروم في فلسطين وكان أسامة آنئذ لم يبلغ العشرين من العمر، وذلك راجع إلى التدريب في الصغر على القيادة وتحمل المسؤولية.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ». (صحيح البخاري ح٣٧٣٠).

قال ابن حجر رحمه الله: قَوْلُهُ إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ أَيْ إِنْ طَعَنْتُمْ فِيهِ فَأُخْبِرُكُمْ بِأَنَّكُمْ طَعَنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فِي أَبِيهِ وَالتَّقْدِيرُ إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ أَثِمْتُمْ بِذَلِكَ لِأَنَّ طَعْنَكُمْ بِذَلِكَ لَيْسَ حَقًّا كَمَا كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ وَظَهَرَتْ كِفَايَتُهُ وَصَلَاحِيَتُهُ لِلْإِمَارَةِ وَأَنَّهُ كَانَ مُسْتَحِقًّا لَهَا فَلَمْ يَكُنْ لِطَعْنِكُمْ مُسْتَنَدٌ فَلِذَلِكَ لَا اعْتِبَارَ بِطَعْنِكُمْ فِي إِمَارَةِ وَلَدِهِ وَلَا الْتِفَاتَ إِلَيْهِ. (فتح الباري لابن حجر ١٣/ ١٨٠).

قال بدر الدين العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٦/ ٢٣: وفيه: جواز إمارة الموالي، وتولية الصغار على الكبار، والمفضول على الفاضل للمصلحة.

ج - ومن صور إعداد الشباب لتحمل المسؤولية ومشاركة الكبار في الأعمال العظيمة ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم من كشف الهيئة على الصغار الموشكين على البلوغ ليذهبوا إلى ميدان القتال لمشاركة الأبطال:

عن جعفر أَنَّ أُمَّ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا، وَتَرَكَ ابْنَهُ سَمُرَةَ وَكَانَتِ امْرَأَةً جَمِيلَةً، فَقَدِمَتِ الْمَدِينَةَ، فَخُطِبَتْ فَجَعَلَتْ تَقُولُ: «لَا أَتَزَوَّجُ رَجُلًا إِلَّا رَجُلًا يَكْفُلُ لَهَا بِنَفَقَةِ ابْنِهَا سَمُرَةَ، حَتَّى يَبْلُغَ، فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى ذَلِكَ، وَكَانَتْ مَعَهُ فِي الْأَنْصَارِ».

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعْرِضُ غِلْمَانَ الْأَنْصَارِ فِي كُلِّ عَامٍ، فَمَنْ بَلَغَ مِنْهُمْ بَعَثَهُ، فَعَرَضَهُمْ ذَاتَ عَامٍ، فَمَرَّ بِهِ غُلَامٌ، فَبَعَثَهُ فِي الْبَعْثِ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ سَمُرَةُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَدَّهُ، فَقَالَ سَمُرَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَجَزْتَ غُلَامًا، وَرَدَدْتَنِي، وَلَوْ صَارَعَنِي لَصَرَعْتُهُ؟ قَالَ: «فَدُونَكَ، فَصَارِعْهُ» قَالَ: فَصَرَعْتُهُ، فَأَجَازَنِي فِي الْبَعْثِ. (المعجم الكبير للطبراني ح٦٧٤٩). فانظر كيف كان النبي صلي الله عليه وسلم كل سنة يهتم بتخريج دفعات من الشباب لقيادة الأمة والجهاد لرفع رايتها.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

قصة مفتراة في خلق الماء والعرش والكرسي

إعداد علي حشيش

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ: نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية- كما سنبين من التخريج، يجعل من لا دراية له بالتحقيق وعلل الحديث يتوهم أن هذه القصة صحيحة.

٢- القصة كما سنبين من المتن جاء بها كيفية بدء خلق الماء، ثم سبب ارتعاد الماء راكدًا أو جاريًا في البحار والآبار، ثم خَلْق الريح وعلاقته بالماء، ثم خلق العرش وألسنته وألوان كل لسان، ثم خلق الكرسي.

وهذه القصة الواهية الموضوعة في بدء الخلق من الكذب المُختلَق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والذي سنكشف عاره، ونبين عواره حتى يستبين أنه نقل غير صحيح.

٣- والأثر السيئ لهذا النقل غير الصحيح يتشابه مع الأثر السيئ للعقل غير الصريح، فيما يأتي به من نظريات عن خلق السماوات والأرض وعن خلق الإنسان وتدرس في المعاهد والجامعات، وعلى وجه المثال لا الحصر: نظرية دارون التي تنتهي بأن أصل الإنسان قرد؛ للانحلال من الدين وأن الإنسان ليس له خالق، وما هي إلا أوهام زيّنها لهم أهل الإلحاد، «مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» (الكهف: ٥).

وكشف الله سبحانه عن كذبهم فظهر المجهر «الميكرسكوب»، وظهر المجهر الإلكتروني وبه ظهرت الهندسة الوراثية المتصلة اتصالاً وثيقًا بعلم «السيتولوجي»، وهو العلم الذي يبحث في دراسة الخلية التي هي وحدة التركيب في الكائنات الحية من حيوان ونبات، وتبين أن الله تعالى أعطى كل شيء خلقه، فالخلية في كل كائن لها نواة، والنواة بها عدد من «الكروموسومات»، وكل «كرموسوم» به عدد من «الجينات» التي تحدد الصفات

التي تفصل كل كائن عن الآخر، فعلى وجه المثال لا الحصر لا يمكن لنبات القمح أن يتحول إلى نبات الأرز، والعكس، مع أنهما من عائلة واحدة تسمى «العائلة النجيلية».

وبهذا يتبين إذا حدث تعارض بين النقل والعقل، يكون إما عن نقل غير صحيح، وإما عن عقل غير صريح، قد أتى بنظريات عن بدء خلق السماوات والأرض وعن خلق الإنسان وما هي إلا ضلالات كما بينا، قال الله عن أصحابها: «مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا» (الكهف: ٥١).

٤- وهنا تأتي القاعدة الذهبية التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٧/٦٦٥)، (١٢/٨٠): «إن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح». ثم قال بعقبها شيخ الإسلام: "ولكن كثيرًا من الناس يغلطون إما في هذا وإما في هذا". اهـ.

ثانيًا: المتن:

رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَخْلُقَ الْمَاءَ خَلَقَ مِنَ النُّورِ يَاقُوتَةً خَضْرَاءَ، غِلَظُهَا كَغِلَظِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ وَسَبْعِ أَرَضِينَ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ، ثُمَّ دَعَاهَا، فَلَمَّا أَنْ سَمِعَتْ كَلامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذَابَتِ الْيَاقُوتَةُ فَرَقًا حَتَّى صَارَتْ مَاءً، فَهُوَ مُرْتَعِدٌ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَذَلِكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ رَاكِدًا أَوْ جَارِيًا يَرْتَعِدُ، وَكَذَلِكَ يَرْتَعِدُ فِي الآبَارِ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ خَلَقَ الرِّيحَ فَوَضَعَ الْمَاءَ عَلَى الرِّيحِ، ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ، فَوَضَعَ الْعَرْشَ عَلَى الْمَاءِ، فَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (هود: ٧)، فَلا يُدْرَى كَمْ لَبِثَ عَرْشُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْمَاءِ؟ ثُمَّ كَانَ خَلْقُ الْعَرْشِ قَبْلَ الْكُرْسِيِّ بِأَلْفَيْ عَامٍ، فَخَلَقَهُ وَلَهُ أَلْفُ لِسَانٍ يُسَبِّحُ اللَّهَ بِكُلِّ لِسَانٍ أَلْفَ لَوْنٍ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ، فَكَتَبَ فِي قُبَالَةِ عَرْشِهِ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا وَحْدِي، لا شَرِيكَ لِي وَمُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي، فَمَنْ آمَنَ بِرُسُلِي وَصَدَّقَ بِوَعْدِي أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ خَلَقَ الْكُرْسِيَّ، فَالْكُرْسِيُّ أَعْظَمُ مِنْ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ وَسَبْعِ أَرَضِينَ، وَإِنَّ الْعَرْشَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُرْسِيِّ، كَالْكُرْسِيِّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّ الْكُرْسِيَّ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ كَمَرْبِضِ عَنْزٍ فِي جَمِيعِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ وَسَبْعِ أَرَضِينَ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ كَحَلْقَةٍ صَغِيرَةٍ مِنْ حَلَقِ الدِّرْعِ فِي أَرْضٍ فَيْحَاءَ".

غريب ألفاظ الحديث:

(مَرْبِض): قال ابن الأثير في «لسان العرب» (٧/١٥٢): «المرابض للغنم: كالمعاطن للإبل واحدها مَرْبِض مثال مجلس». اهـ.

(العنز): (الماعزة، وهي الأنثى من المعزى). كذا في «لسان العرب» (٥/٣٨١)، (الفيحاء): الواسعة، كذا في «المعجم الوجيز» (ص٤٨٥) مجمع اللغة العربية.

ثالثًا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به قصة «خلق الماء والعرش والكرسي» أخرجها الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني المتوفى سنة ٣٦٩هـ في كتابه «العظمة» (٢/٥٤٦) (ح١٩٢) ط. دار العاصمة بالرياض، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الْخُرَاسَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْعَبٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي عِصْمَةَ نُوحِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَخْلُقَ الْمَاءَ..". الحديث.

رابعًا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة: موضوع، وعلته: أبو عصمة نوح بن أبي مريم قاضي مرو، ويعرف بنوح الجامع، وهذه أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه:

١-قال الإمام البخاري في كتابه «التاريخ الكبير» (٤/٢/١١١): «نوح بن أبي مريم أبو عصمة قاضي مرو ذاهب الحديث جدًا».

قلت: من استقراء مصطلحات الإمام البخاري نجد أن هذا المصطلح «ذاهب

الحديث جدًا»، من الجرح الشديد، بل من أشد عباراته في التجريح، يتبين ذلك من قول الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «وثم اصطلاحات لأشخاص ينبغي التوقيف عليها، من ذلك أن البخاري إذا قال في الرجل «سكتوا عنه» أو «فيه نظر»؛ فإنه يكون في أدنى المنازل وأردئها عنده، ولكنه لطيف العبارة في التجريح، فليعلم ذلك». اهـ.

قلت: فكيف لو قال في الرجل: «ذاهب الحديث جدًا». اهـ. لذلك جعل الإمام الحافظ ابن أبي حاتم هذا المصطلح «ذاهب الحديث» في أدنى المنازل وأردئها، فقال: «وإذا قالوا: متروك الحديث، أو ذاهب الحديث، أو كذاب، فهو ساقط الحديث لا يكتب حديثه وهي المنزلة الرابعة». اهـ.

قلت: وهذه المنزلة هي أدنى المنازل عنده.

٢- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/١/٤٨٤): «سمعت أبي يقول: نوح بن أبي مريم متروك الحديث». اهـ.

٣- قال الإمام مسلم في «الكنى والأسماء» رقم (٢٦١٣): «أبو عصمة نوح بن أبي مريم الخرساني، وهو نوح بن يزيد بن جعونة، متروك». اهـ.

٤- قال الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٩٠٥/٣٠٤/٤): «حدثنا عبد الله بن أحمد الخفاف قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري: قال ابن المبارك لوكيع: حدثنا شيخ يقال له: أبو عصمة كان يضع كما يضع المعلى بن هلال». اهـ.

قلت: والمعلى بن هلال قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٨٦٧٩/١٥٢/٤): «رماه السفيانان بالكذب. وقال ابن المبارك وابن المديني: كان يضع الحديث. وقال ابن معين: هو من المعروفين بالكذب والوضع»، وقال أحمد: «كل أحاديثه موضوعة». ثم نقل قول ابن المبارك لوكيع: «عندنا شيخ يقال له أبو عصمة نوح بن أبي مريم يضع كما يضع مُعلى». وأقره.

٥- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٤٨/٣): «وكان ممن يقلب الأسانيد ويروي عن الثقات ما ليس من حديث الأثبات لا يجوز الاحتجاج به». اهـ.

٦- وقال الجوزجاني في كتابه «أحوال الرجال» (٣٨٠): «سقط حديثه». اهـ.

٧- وقال الحاكم في «المدخل» (ص٥٣): «ومنهم جماعة وضعوا الحديث حسبةً كما زعموا؛ يدعون الناس إلى فضائل الأعمال مثل: أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي». اهـ.

٨- نقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٤٣٥/١٠): أن الحاكم قال: أبو عصمة ذاهب الحديث بمرة، وقد أفحش أئمة الحديث فيه ببراهين ظاهرة، وقال أيضًا: كان جامعًا كل شيء إلا الصدق. نعوذ بالله تعالى من الخذلان، وقال أبو علي النيسابوري: كان كذابًا، وقال أبو أحمد الحاكم: «ذاهب الحديث». وقال الخليلي: «أجمعوا على ضعفه وكذَّبه ابن عيينة». اهـ. وبهذا يتضح أن القصة واهية، وأن الخبر الذي جاءت به من الأباطيل الموضوعة.

تنبيه:

يغني عن هذا الخبر الموضوع: ما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٣١٩١) (ح٧٤١٨) كتاب «بدء الخلق» (ح٢)، وكتاب «التوحيد» (ح٤٨) من حديث عمران بن حصين، قال: سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أول الأمر ما كان؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

علي حشيش

٩٤٠- «إذا تسارعتم إلى الخير، فامْشُوا حفاةً، فإن الله يضاعف أجره على المنتعل».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (ص١١/١) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧)، وقال: «طب: عن ابن عباس».

قلتُ: «طب» ترميز إلى «المعجم الكبير» للطبراني، وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين أنه حديث موضوع.

والحديث لم يكن عند الطبراني في «المعجم الكبير»، ولكنه عند الطبراني في «المعجم الأوسط». فكان يجب أن يرمز له: «طس»، لا «طب». ولذلك أورده الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣٣/١)، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سليمان بن عيسى كذاب».

قلتُ: أخرجه الإمام الطبراني في الأوسط (١٠٤/٥) (ح٤١٩٥) قال: حدثنا علي بن الحسن بن سهل البلخي، قال: حدثنا يوسف بن عبد الله العطار البلخي، قال: حدثنا سليمان بن عيسى السجزي، قال: حدثنا سفيان الثوري عن ليث، عن طاوس، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله.. فذكره.

والحديث غريب، حيث قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن سفيان إلا سليمان تفرد به يوسف». اهـ.

وعلته: سليمان بن عيسى السجزي قال الجوزجاني في كتابه «أحوال الرجال» (٣٨٩): «كان كذابًا مصرحًا». اهـ.

وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٣٤/٢/١): «سألت أبي عنه فقال: روى أحاديث موضوعة وكان كذابًا». اهـ.

وقال الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٣٨٩/٣): «يضع الحديث». اهـ.

ونقل الإمام الذهبي ما أوردناه من أقوال أئمة الجرح والتعديل في «الميزان» (٣٤٩٦/٢١٨/٢) وقال: «سليمان هالك». اهـ.

٩٤١- «مَن تمنّى الغلاء على أمتي ليلة أحبط الله عمله أربعين سنة».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦٠/٤) من حديث ابن عمر مرفوعًا، وقال: «منكر جدًا، لا أعلم رواه غير سليمان بن عيسى السجزي، وكان كذابًا يضع الحديث». كذا قال الأئمة كما بينا آنفًا، وأورده الذهبي في «الميزان» (٢١٨/٢)، وقال: «هذا من بلاياه». اهـ.

٩٤٢- «إن الله أمرني بحبِّ أربعة من أصحابي وقال، أحبهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٨٩/٣) (٧٥٨/٢٦) من حديث ابن عمر مرفوعًا، وعلته سليمان بن عيسى السجزي وهو كذاب يضع الحديث كما بينا آنفًا، وقال الذهبي: وهذا من بلاياه». اهـ.

٩٤٣- «إذا أتت على أمتي ثلاثمائة وثمانون سنة؛ فقد حلت لهم الغربة والترهب على رؤوس الجبال».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٩٨/٣) من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا، وعلته سليمان بن عيسى السجزي، قال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع، قال ابن عدي: سليمان يضع الحديث». اهـ.

قلت: وهو كذاب هالك كما بينا، وأورد هذا الحديث الإمام الذهبي في «الميزان»، وقال: هذا من بلاياه. اهـ.

الحلقة 2

نماذج تُحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة

تابع.. الكلام عن القاضي الباقلاني «الذي ليس في المتكلمين الأشعرية أفضل منه مطلقًا»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد؛ فعلى إثر الكلام عن مكانة الباقلاني واجتهاده ومميزاته.. يأتي الحديث عن معتقده وانتصاره لما كان عليه أهل السنة وأصحاب الحديث؛ لاسيما وقد عُرف عن عامة المتكلمين إعراضهم عن علم الحديث وانتقادهم لأهله والمشتغلين به، وتقليلهم من شأنه.. فلقد شاع بين الأشعرية وإلى الآن رميُ أهل السنة والحديث بـ (مصطلح: الحشوية)، ومع أن الباقلاني من زمرة المتكلمين بل هو أحد أئمتهم، إلا أنه قد حُفظ عنه انتصاره لعلماء الحديث ودفاعه عنهم، وإعلاؤه من قدرهم، حيث قال في نكت الانتصار: «وأما قولهم: إن السلف من أصحاب الحديث حشوية طغام، فما هو بأول كذبهم وجرأتهم..

إعداد: أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

ومن وقف على مصنفات أصحاب الحديث، وما علموه من الكلام عن مشكله والتدقيق في علله ومعرفة المدلسين من رواته؛ علم أن أجهل البرية: من نسبهم إلى الجهل والغفلة والتصحيف، وكل من تكلم في الحديث وعلله من المعتزلة على قلة علمهم به، فإنما يأخذون ذلك من كتب أصحابنا رحمهم الله، لا من عند شيوخهم ومقدميهم، لأنهم لا بصيرة لأحد منهم في ذلك وليس عند أحد منهم علم بحديث ولا فتوى. فسقط ما قالوه وما توهموه سقوطا ظاهرًا».

١- عقيدة الباقلاني التي انتصر بها لأصحاب الحديث:

ويرى الباقلاني فيما يرى أن أول الواجبات: النظر في دلائل قدرة الله تعالى، يقول: «أول ما فرض الله على جميع العباد: النظر في آياته، والاعتبار بمقدوراته، والاستدلال عليه بآثار قدرته، وشواهد ربوبيته؛ لأنه سبحانه غير معلوم باضطرار، ولا مشاهد بالحواس، وإنما يعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله، بالأدلة القاهرة والبراهين الباهرة»..

ثم إنه يُثبت الصفات عمومًا ولا يقتصر على إثبات الصفات السبع كما يفعل الأشعرية، بل نراه يقسّم الصفات إلى صفات ذات وصفات فعل ويقول: «صفات ذاته، هي: التي لم يزل ولا يزال موصوفًا بها، وهي: (الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، والبقاء، والوجه، والعينان، واليدان، والغضب، والرضا).. وصفات فعله، وهي: (الخلق، والرزق، والعدل، والإحسان، والتفضل والإنعام، والثواب والعقاب، والحشر والنشر، وكل صفة كان موجودًا قبل فعله لها)، غير أن وصفه لنفسه بجميع ذلك: قديم، لأنه كلامه الذي هو قوله: (إني خالق، رازق، باسط)، وهو تعالى لم يزل متكلمًا بكلام غير محدث ولا مخلوق»، انتهى كلامه.. ومنه يتبين أنه يثبت الصفات لله ولا يفرق بين (الصفات الخبرية والفعلية) وبين ما يُعرف لدى الأشعرية بـ(الصفات العقلية).

وفي كتابه (الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضلالة) يستدل الباقلاني للصفات السبع وهي: (الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة) بأدلة نقلية وعقليه.. كما يرى الباقلاني أن صفة (البقاء) من صفات الذات لله، وأنه باق ببقاء وليس بإبقاء كسائر المخلوقات التي أخبرت النصوص بعدم فنائها، فهي صفة نفسية وليست صفة زائدة على الذات.. ويُثبت مع ما سبق: الصفات الخبرية لله كـ (الوجه، واليدين، والعينين)، يقول:

«وأخبر تعالى أنه (ذو الوجه الباقي بعد تقضي الماضيات)، كما قال: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (القصص:٨٨)، وقال: (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (الرحمن:٢٧)، (واليدين) اللتين نطق بإثباتهما له القرآن في قوله تعالى: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) (المائدة: ٦٤)، وقوله: (مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (ص: ٧٥) وانهما ليستا بجارحتين، ولا ذوي صورة وهيئة، (والعينين) اللتين أفصح بإثباتهما من صفاته: القرآن، وتواترت بذلك أخبار الرسول عليه السلام، فقال عز وجل: (وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي) (طه: ٣٩) (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) (القمر: ١٤)، وإن عينه ليست بحاسة من الحواس، ولا تشبه الجوارح والأجناس».

وفي (التمهيد) يستدل- رحمه الله- ببعض هذه الأدلة، ثم يردُّ على من أوّل (اليدين) بـ (القدرة أو النعمة)، فيقول: «يقال لهم: هذا باطل، لأن قوله: (بيدي) يقتضي إثبات يدين هما صفة له، فلو كان المراد بهما القدرة، لوجب أن يكون له قدرتان، وأنتم تزعمون أن للباري سبحانه قدرة واحدة، فكيف يجوز أن تثبتوا له قدرتين؟ وقد أجمع المسلمون من مثبتي الصفات والنافين لها، على: أنه لا يجوز أن يكون له تعالى قدرتان، فبطل ما قلتم، وكذلك لا يجوز أن يكون الله خلق آدم بنعمتين؛ لأن نعمه تعالى على آدم وعلى غيره لا تحصى».

كما يثبت الباقلاني (صفة العلو والاستواء لله تعالى) خلافًا للأشعرية، ويردُّ على الذين يتأولون (الاستواء) بـ (الاستيلاء)، وعلى الذين يقولون: إن الله في كل مكان، يقول: «فإن قالوا: فهل تقولون إنه في كل مكان؟؛ قيل: معاذ الله، بل هو مستو على العرش، كما أخبرَ في كتابه فقال: (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) (طه: ٥)، وقال تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) (فاطر:١٠)، وقال: (أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ) (الملك: ١٦)، ولو كان في كل مكان لكان في جوف الإنسان وفمه وفي الحشوش والمواضع التي يُرغب عن ذكرها، ولأوجب أن يزيد بزيادة الأماكن إذا خلق منها ما لم يكن خَلقه، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان، ولصح أن يُرغب إليه إلى نحو: الأرض والى وراء ظهورنا وعن أيماننا وشمائلنا، وهذا ما قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله». ويلاحظ أن عباراته تكاد تكون نفس عبارات أبي الحسن عليهما من الله الرحمة والرضوان.

ثم يرد الباقلاني على من اعترض بالنصوص الدالة على أن الله في السماء إله وفي الأرض إله، وأنه مع المؤمنين بذاته، ويُبيّن أنه لا دلالة فيها لمن يزعمون أنه في كل مكان أو أنه ليس في شيء منها.. ثم يقول: «ولا يجوز أن يكون معنى (استوائه على العرش) هو: (استيلاؤه عليه)، كما قال الشاعر: (استوى بشر على العراق)، لأن الاستيلاء هو القدرة والقهر، والله تعالى لم يزل قادرًا قاهرًا، عزيزًا مقتدرًا.. ثم إن قوله: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) (الأعراف: ٥٤) يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن؛ فبطل ما قالوه».

أما رأيه في كلامه تعالى: فيقول في رد ما فاهت بشأنه الأشعرية: «اعلم أن الله متكلم، له كلام عند أهل السنة والجماعة، وأن كلامه قديم، ليس بمخلوق ولا مجعول ولا محدث، بل هو صفة من صفات ذاته، كعلمه وقدرته وإرادته ونحو ذلك من صفات الذات، ولا يجوز أن يقال: كلام الله عبارة ولا حكاية» يعني: كما تقول الأشعرية، ويقول: «ويجب أن يُعلم أن كلام الله مكتوب في المصاحف على الحقيقة، ومسموع لنا على الحقيقة لكن بواسطة، وهو: القاري»، وحقيقة الكلام عنده- على الإطلاق في حق الخالق والمخلوق-: «إنما هو المعنى القائم بالنفس، لكن جعل لنا دلالة عليه تارة

بالصوت والحروف نطقًا، وتارة بجمع الحروف بعضها إلى بعض كتابة دون الصوت ووجوده، وتارة إشارة ورمزًا دون الحرف والأصوات ووجودهما».. وقد كان قبل ذلك يرى أن كلام الله ليس بحروف ولا أصوات، ويعطل نصوص الوحي والإجماع التي تثبت كلامه تعالى دون ما حلول ولا تشبيه له بحروف وأصوات المخلوقات.

٢- تراجع الباقلاني عما خالف فيه السلف وأصحاب الحديث:

والباقلاني وإن كان له في اعتقاداته أمورٌ في الصفات وغيرها يخالف فيها عقيدة أهل السنة والجماعة على العموم والأشعري على الخصوص، أو على حدّ ما جاء في عبارة الحافظ الذهبي فيما سبق أن ذكرناه له من أنه كان «يخالفه في مضائق» ظل عليها ردحًا من الزمن، متأثرًا بالبيئة التي عاش بها حيث أهل التأويل والتحريف.. من نحو قوله: بأن كلامه تعالى نفسي، وأن القرآن من كلام جبريل عليه السلام وأن جبريل علم كلام الله وفهمه، وعلّمه الله النظم العربي الذي هو قراءته، وعلّم هو القراءة نبينا، وعلّم النبيُّ أصحابه، إلى آخر ذلك مما لازمه القول بخلق القرآن ونفي أن يكون لفظيًا.. ومن نحو قوله بنفي الجهة، ونفي (الصفات الاختيارية القائمة به تعالى- من نحو الإتيان والمجيء والنزول- والمسماة بمسألة حلول الحوادث).

إلا أنه استدرك كل هذا؛ وجعل يقول- عن صفة كلامه تعالى وفي ردّ شبهة من قصرها على الجانب النفسي ونفى عنها أنها صفة فعل تكون منه سبحانه وقتما وكيفما شاء، فألزم أن يكون تعالى قد خلق القرآن باللوح المحفوظ وألهمه جبريل فهو من ثم حكاية عنه-: «ويستحيل من قولنا جميعًا أن يفعله في نفسه تعالى، لأنه ليس بمحل للحوادث» يعني: أنه تعالى لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، وأن حدوث أفعاله بقوله للشيء: (كن فيكون) في وقت دون وقت بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، لأنه تعالى موصوف بالكلام وإن لم يتكلم.

ويقول في صفة المجيء والإتيان- وقد ذكر فيهما عدة أقوال، كلها تدعم قوله بنفي حلول الحوادث بذات الله وتردُّ عادية المخالفين المعترضين على آيات القرآن-: «واعترضوا أيضًا (بـ) قوله تعالى: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا) (الفجر: ٢٢)، وقوله: (يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ) (البقرة: ٢١٠)، قالوا: والمجيء والإتيان حركة وزوال، وذلك عندهم محال في صفته، فالجواب عن هذا: أنه يجيء ويأتي بغير زوال ولا انتقال ولا تكييف، بل يجب تسليم ذلك على ما ورد وجاء به القرآن».

ومن غير ما سبق فقد ذكر الباقلاني رجوعه عن القول بكل ما يخالف فهم السلف في مسائل الاعتقاد، وذلك في كتابه: (الذب عن أبي الحسن الأشعري)، ونقل الحافظ الذهبي عنه في (العلو) جزءً مما جاء في هذا الكتاب، وفيه أن الباقلاني نفسه قد نصّ على تراجعه عن كل ما كان يخالف فيه جماعة أهل السنة وبدّع وضلل من قال بخلاف قولهم، فكان مما نقله عنه الحافظ الذهبي قوله: «كذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفات الله- إذا صح- من إثبات اليدين والوجه والعينين، ونقول: (إنه يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، كما في الحديث، وأنه مستو على عرشه)». إلى أن قال: «وقد بينا دين الأئمة وأهل السنة: أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف، ولا تحديد ولا تجنيس ولا تصوير، كما روي، عن الزهري وعن مالك في الاستواء، فمن تجاوز هذا فقد تعدى وابتدع وضل».

وطفق الذهبي يعلق على هذا الكلام ويقول: «فهذا النَّفَسُ: نَفَسُ هذا الإمام، وأين مثله في تبحره وذكائه وبصره بالملل والنحل؟! فلقد امتلأ الوجود بقوم لا يدرون ما السلف، ولا يعرفون إلا السلب، ونفي الصفات وردها، صم بكم عتم عجم، يدعون إلى العقل ولا يكونون على النقل، فإنا لله وإنا إليه راجعون».

ويكاد جميع الباحثين يُجمعون على أن للباقلاني دورًا في تطوير المذهب الأشعري، يقول ابن خلدون: «وكثر أتباع الشيخ أبي

الحسن الأشعري، واقتفى طريقته من بعده تلاميذه، كابن مجاهد وغيره، وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني، فتصدر للإمامة في طريقتهم، وهذبها، ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار- وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد، وإن العَرَض لا يقوم بالعَرَض، وأنه لا يبقى زمانين، وأمثال ذلك مما تتوقف عليه أدلتهم- وجعل هذه القواعد تبعًا للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الأدلة عليها، وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول»، تلك القاعدة التي بُنيت- فيما يبدو- على قوله بوجوب المعجزات لثبوت نبوة الأنبياء، لأن بطلان المعجزة يؤدي إلى بطلان نبوة الأنبياء، أو أنها بنيت على قوله بالجوهر الفرد، وأن بطلانه يؤدي إلى بطلان دليل حدوث الأجسام.

ثم يعقب ابن خلدون مشيرًا إلى الظروف التاريخية للقول بهذه الأمور، فيقول: «وجُمِلت هذه الطريقة، وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية، إلا أن صور الأدلة فيها جاءت بعض الأحيان على غير الوجه القناعي لسذاجة القوم، ولأن صناعة المنطق التي تسير بها الأدلة وتعتبر بها الأقيسة لم تكن حينئذ ظاهرة في الملة، ولو ظهر منها بعض الشيء، لم يأخذ به المتكلمون لملابستها للعلوم الفلسفية المباينة لعقائد الشرع بالجملة، فكانت مهجورة عندهم لذلك»، ولعل هذا هو ما أداه لأن يهجر طريقة المتكلمين ليؤول أمره في النهاية إلى ما آل إليه أمر شيخه أبي الحسن الأشعري، وإلى: ما سطره هو في كتابه (الذي عن أبي الحسن الأشعري) وما علق به الذهبي على كلامه.

٢- مؤلفاته:

هذا، ولقد عُرف ابن الطيب بكثرة تآليفه وإملاءاته، يدل على ذلك: ما نقله الخطيب البغدادي سماعًا في تاريخه ٣/ ٣٦٦ عن محمد بن عمران الخلال، قال: «كان وِرْدُ القاضي أبي بكر محمد بن الطيب في كل ليلة عشرين ترويحة، ما يتركها في حضر ولا سفر»، قال: «وكان كل ليلة إذا صلى العشاء وقضى ورده، وضع الدواة بين يديه وكتب خمسا وثلاثين ورقة تصنيفا من حفظه.. فإذا صلى الفجر دفع إلى بعض أصحابه ما صنفه في ليلته وأمره بقراءته عليه، وأملى عليه الزيادات فيه».

وعليه، فلا نستغرب من قول ابن عمار الميورقي: «حُسبتْ تواليف القاضي وإملاءاته، فقسِّمَت على أيام عمره من مولده إلى موته، فوُجد أنه يقع لكل يوم منها عشر ورقات أو نحوها».. كونه إذن من المكثرين من التأليف، وإن كانت مصنفاته لم تصل إلينا كاملة لحد الآن، حيث لم يطبع منها إلا حوالي ست كتب فقط، من بين أكثر من خمسين مصنفا ذكرها القاضي عياض في (ترتيب المدارك)، ويأتي في مقدمتها:

(كتاب الإبانة) وهو- على شهرته لا يزال مفقودًا- وقد أفاد منه ابن تيمية في الحموية وابن القيم في اجتماع الجيوش والذهبي في العلو.. و(إكفار المتأولين).. و(الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية).. و(التمهيد).. و(شرح اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع) و(إعجاز القرآن).. و(الذب عن أبي الحسن الأشعري).

وبعدُ: فلقد ظل الباقلاني على هذه الحال من التأليف والبحث عن الحق والحقيقة، مجاهدًا منافحًا عن دين الله، حيث كان سيفًا على المعتزلة والرافضة والمشبهة، وحصنًا حصينًا من حصون جماعة المسلمين، حتى وافته المنية في يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد، ودفن في مقبرة باب حرب في مقربة من قبر أحمد بن حنبل، وكانت جنازته مشهودة، وما سُرَّ أهلُ البدع بشيء مثل سرورهم بموته، بينما حَزن عليه علماء السنة حتى أورد الذهبي في (السير) ما كان من شيخ الحنابلة أبي بكر التميمي، فقد أمر مناديًا يقول بين يدي جنازة الباقلاني: (هذا ناصر السنة والدين، والذابّ عن الشريعة، هذا الذي صنَّف سبعين ألف ورقة)، ثم كان يزور قبره كل يوم جمعة..

رحم الله الباقلاني وجزاه عن الإسلام والمسلمين بقدر ما قدم.

والله نسأل أن يلحقنا وإياه بالصالحين وأن يحشرنا وإياه في زمرة سيد المرسلين..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خُطورة الغِياب عن إصّلاحِ الشَّباب (٣)

رعي العُدوة بتَحقيق فوائد القُدوة

إعداد **د. عماد محمد علي عيسى**
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله الذي أكرمنا بتنزيله، وشرفنا بمعرفة تأويله، وصلى الله على نبينا مُحمد، أرسله الله بشرع ما أوسعه وأشرحه، ولسان ما أفصحه، وبيان ما أوضحه، وعلى آله وصحبه ما بقي على الأرض إنس ولا جن ولا حجر ولا شجر وحَّده وسبَّحه.

وبعد: فهذا مقالٌ أسميتُه: رَعْيَ العُدْوَة بتحقيق فوائد القُدْوة، والعُدْوة: (بالضَّمّ والكَسْر، ضَرْبٌ منَ المَرْعى مَحْبُوبٌ إلى الإبل. أردت أنَ أُجَلّي فيه عن فوائد القدوة وأكشف عن هذا المعنى وأن أرفع النقاب عنها وأعرب عن تلك الفحوى، وأسأل الله أن يجعل فيه الأثر وأن يفتح له القلوب، وأن يغفر لي زللي ويتقبل عملي.

أرجو بها عفو الإله لأنني
ما زلت أمعن في الذنوب وأسرفُ

وذلك لما رأيت هذا الأمر مُهملاً لا مُعملاً، وعندما عاينتُ هذا الباب موصودًا لا مفتوحًا ولا للولوج منه مرصودًا، وباب القدوة باب واسع لمن أراد الولوج منه وسهل لمن أراد الدخول فيه، وهو سلم لما بعده يعين على العروج فيه، ومدرج لما وراءه يدنو الوصول به، ولولا أنه في الإمكان ما أمر الله تعالى به، فإنه سبحانه لا يكلف نفسًا إلا وسعها، قال تعالى: « لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ » (البقرة: ٢٨٦).

وقدر راعني ما رَاع كلَّ مُحبٍّ لدينه، وأزعجني ما أزعَجَ من أُشْرِبَ قلبُه وأُشْبعتْ نفْسُه بمَحبَّة الخير للأُمَّة المُسْلمة وهوَ أنَ الشبابَ والفتيات من الأجْيال المُتأخَرة زمانًا وأيامًا وفهمًا وإلمامًا وعقلاً وخُلقًا قد اتبعوا ما يتلو السفهاء من الناس، ومشوا على خُطى الساقطين في الأدناس، وحذوْا حذو اللاعبين ونسجوا على منوال اللاغبين، وأعرضوا عن القدوة المثلى والأسوة العليا، ولم يلتفتوا إلى أهل القدوات حقًا من العلماء والزهاد والصالحين والعُبَاد، ولو فكر أحدهم أن يقتدي يومًا بشيء من حال هؤلاء الفضلاء لقنع بأيسر الزاد.

ومع كثرة الفتن، وتعظيم السفهاء، وإفساح

المجال لكل أرعن من البلهاء، وإعطاء المزايا للرقعاء، ومنح الشهادات من غير المسلمين للمفسدين الذين ضيّعوا الأجيال وأغووا الشباب، وشجّعوا الشاب اليافع على الإقبال على المنتن من الفكر، وتسويغ العفن من الأفكار من غير روية ولا نظر، ما يجعله أشبه بالغراب، حتى باتت أحلام الفتيان تدور على أن يكون أحدهم لاعبًا شهيرًا، أو ماجنًا أو مغنيًا قديرًا، ولا تكاد تجد من تخرج عن ذلك.

ولأن الشباب حدثاء الأسنان، ضعفاء العقول والإيمان، وأكثرهم جاهل بالحال، وغالبهم عار من التجربة قريب العهد بالدنيا تعصف الفتنة بهم من أول لمحة.

نداء لأهل الإسلام:

فيا أهل الإسلام هذه الأجيال نحن عنها مسؤولون وبإصلاحها مكلفون فإلى متى نحن عنها مشغولون، إن الأمر جد خطير وإن الحال قد بات قاب قوسين أو أدنى من الضياع، والأمة على شفا جرف هار، والأعداء متربصون لا ينامون، وجادون في عدائنا وعاملون، ومجتهدون في إغراق الأمة المسلمة بالشهوات وساعون، فهل نحن مدكرون، وعلى قدر المسؤولية جاهزون؟

فكان لا بد من إيقاظ الأنظار وإنباه ذوي الأبصار لمعالجة هذه القضية، وذلك بالرجوع إلى الكتاب العزيز الفائق، والعودة إلى معين السنة النبوية الرائق، ومحاولة التأسي بالسلف الصالح وإطالة النظر في حياتهم التي لم يكن فيها اقتداء بأي فارغ أو طالح، وتأمل أحوالهم وأخلاقهم بما يحقق من أعظم المصالح.

ورحم الله شوقي حين قال:

إذا فاتك التفاتٌ إلى الماضي
فقد غاب عنك وجْهُ التأسّي

تمسك بحبل الأوائل والزم غرزهم:

قال تعالى: « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (التوبة: ١٠٠).

وعَنْ عَبْد اللهِ بْن عَمْرو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلا مِلَّةً وَاحِدَةً». قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» رواه الترمذي: (٢٦٤٠).

وهذا مخرج من البلايا عمي عنه من عمي وهم كثيرون، ومدخل لاجتناب الرزايا أبصره من أبصره وهم قليلون، حتى صارت عقول شبيبتنا عن الفكر الصحيح أسيرة، وأبصارهم عن البصر بحقائق الأمور حسيرة، وقلوبهم عن تحقيق الإيمان كسيرة، وأحوالهم في الأخذ بعزائم الأمور عسيرة.

فتمسكْ بحبل الأوائل والزمْ غرزهم فإنه النجاة يقينًا لا ظنًا ولا خرصًا ولا تخمينًا، فإن الاقتداء بهم يجعل المنهج صحيحًا، والفهم مليحًا، والعقل خصيبًا، والذهن صقيلاً.

واعلم بأن الحرب على قدم وساق ضد كل من دعا إلى منهاج النبوة، واقتدى بالقرون الفاضلة الخيرية، والأجيال المزكاة في الآيات القرآنية، وعلى لسان خير البرية، وأن الأعداء قد كشروا عن أنيابهم وكشفوا عن خبيئاتهم وبات الشر مصرحًا لا يخفى ولا يتوارى، والله تعالى لا يهدي كيد الخائنين وقاصم ظهر الماكرين، وقد اجتهدت في المنبهة إلى ذلك أداءً للأمانة وإبراءً للذمة وإخلاء لساحة المسئولية، والله بما يعملون محيط.

أولا: القدوة تهدم صنم الأعراف الفاسدة:

قضيّة القُدوة من أوسع الأبواب التي ندخل منها إلى علاج فاسد أحْوال شبابنا، وتقويم سلوكهم، وتحسين أخلاقهم، والتخلص من ذَميم طباعهم، ومع ذلك لم تأخذْ حقَّها من

الرعاية، ولم تبلغ نصيبها من الاهتمام والعناية، ذلك أنها ممَا قد لا ينتَبه إليها كثيرون، ولا يدركون أثرها في النفوس إلا الأقلّون، وبهذا الإهمال لها والترك يتعاظم الألم بما يعجز عن التعبير عنه صاحب الدواة والقلم.

ويؤكد هذا المعنى ما نراه من إقبال الناس مع اختلاف طبقاتهم وتعدّد مشاربهم على التأسي بأهل الفحش والمجون، ودعاة التعرّي والفنون حتى ولغوا في حضيض الانغماس، وأعرضوا عن طريق المعالي والالتماس، فصاروا من أهل الغفلة والإفلاس.

ومن الأمور الصعبة التي يعزُ حلُ إشْكالها الأعراف الفاسدة، والعادات البعيدة عن الصواب والشاردة؛ لأنها تنصبُ لابن آدم الحِبائل، وتبغي له الغوائل، وتمدُ حوْله الأشرَاك، وتنصبُ له الفخَاخ والشبَاك، ولا عجب، فإنَ لها سلطانًا على الناس، وتسلطًا عليهم، وكثير من المسلمين يصبح عبدًا لهذه الأعراف وهو لا يشعر، وقد يتخذها ندًا من دون الله وهو لا يدري؛ لأنه يجدها كالفريضة التي لو تركها كان آثمًا، ولو اجتنبها كان مخطئًا غاشمًا، فهذه الأعراف لا مناص منها عند كثير من الناس، ومن تركها إيمانًا بالله واحتسابًا لامه اللائمون، وأنكر عليه المنكرون، وكأنه وقع في الفتون، فساءتْ به الظنون، وأتى شيئًا إدًّا، ونعوذ بالله من الخذلان والشقاء.

وقد يِكون الذي في أعراف الناس أمرًا فاحشًا وفعلاً منكرًا بين النكارة، ومع ذلك يستندون في تجويزه إلى الأعراف وما فعله الآباء وما تناقلته الأجيال جيلاً بعد جيل، وما توارثوه قبيلاً تلو قبيل.

قال تعالى: « وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (الأعراف: ٢٨).

لقد أصبحت الأعراف الذميمة تصنع أحوالاً أليمة، وتمحو أخلاقًا كريمة، وتعفو أثر العقول السليمة، وصارت أصنامًا يلتف الناس حولها فهم لها عاكفون، وعن غيرها معرضون.

وقد حكى الله تعالى ما فعلته الأمم مع أنبيائها من الإعراض عن دعوة الرسل، والعداء لدعوة كل نبي الذي ظهر في الصد عنها والتحذير منها وهذا يؤكده قول الله تعالى: « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا » (الفرقان: ٣١).

وكان سلاح العادات وإرث الآباء والتقاليد الجامدة الموروثة عن الآباء والأجداد تواجه به الأمم رسلها وتحاد به أنبياءها وتحارب دعوات الإصلاح والتغيير.

وقال تعالى: « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ » (المائدة: ١٠٤).

وقد ورثتْه الأمَم ففعلتْه كلُ أمَة بعد التي سبقتها، وقالت به كل أمَة لحِقت ما قبلها من الأمَم.

قال تعالى: « بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ » (الزخرف: ٢٢- ٢٣).

وهذه الآيات تفصح بكل وضوح، وتعرب عن حال الأمم في الجمود والتقليد والتمسك بكل قديم ولو خرج عن الجادة، وتبين أن الأمر كان طريقًا مسلوكة لدى كل أمة بحيث لم تخرج أمة واحدة عن هذا السياق، وكأنهم تواصوا به مع تفاوت الأزمنة واختلاف الأمكنة.

نسأل الله السلامة والعافية.

والحمد لله رب العالمين.

التربية بناء للإنسان وحماية للأوطان

إعداد / الدكتور: صالح بن عبد الله بن حميد
خطيب المسجد الحرام

الحمد لله، تفرَّد بكلِّ كمالٍ، وتكرَّم بجزيل النوال، فله الحمد فيِ كل حال، وعلى كل حال، وله الشكر على جزيل الإنعام والإفضال، شكرًا كثيرًا دائمًا بالغدُوِّ والآصالِ، وأشهد ألاَّ إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، تنزَّه عن الأنداد والأشباه والأمثال، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، الموصوف بأجمل النعوت، وأشرف الخصال، صلى الله وسلم وبارَك عليه، وعلى آله وأصحابه، خير صحب وأكرم آل، والتابعين ومَنْ تَبعَهم بإحسانٍ إلى يوم المآل.

أما بعدُ: فأوصيكم- أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله- رحمكم الله-، وافعلوا الطاعات إخلاصًا لا تخلُّصًا، وحافظوا على النوافل والقربات، تقرُّبًا لا تكرُّمًا، فأنتم- أيها الناس-، (أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ) (فاطر: ١٥).

الجنةُ قريبة- يا عبادَ الله-، شَقُّ تمرة يُبعد عن النار، وصدقة تُطفئُ غضبَ الرب، وكلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان فيِ الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، ووُضوء تتحادَر به الخطايا، والحسَنة بعشر أمثالها، إلى مائة ضعف، إلى أضعاف مضاعَفة: (وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ) (هُودِ: ١١٤- ١١٥).

لا هَمَّ يعلو فوق هَمِّ التربية

معاشرَ المسلمينَ: لا هَمَّ يعلو فوق هم التربية: (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (الفُرْقَانِ: ٧٤)، التربية- حفظكم الله- ليست مشروعَ أسرة، أو مشروعَ مدرسة، بل هي مشروعُ أُمة،

ومشروعُ دولة.

الزراعة تُنتج الغذاء، والصناعة تصنع الأدوات، والتجارةُ تجلب الموارد، أمّا التربيةُ فتبني الإنسانَ والوطنَ، وتصنعُ ذلك كلّه، التربية علم يُتعلم، وعمل يُكتسب، والتزامٌ يُطبق، التربية تُنمّي القدرات ولا تُوجدُها، وتُطوّر الملكات ولا تُنشئها، ومَنْ شبَّ على شيء شابَ عليه.

ضرورة تنشئة الأبناء على المبادئ القويمة

معاشرَ الإخوة: هذه هي التربية، في مكانتها وأثرها، أما محلّها وميدانُها فهم أولادنا، قرة العين، وسلوة الفؤاد، وزينة الحياة، وأُنس العيش، وثمار القلوب، وعماد الظهور، بُناة الغد ورجاله، ومفكّروه، وسواعدُه، ومستودع أمانات الوالدين والمعلمين والمربين.

الله الله فيهم، فما أعظمَ المسؤولية، وما أكبرَ المهمة.

نصائح وتوصيات للآباء والمربين

أيها الآباء، أيها الأمهات: همُّ التربية فوقَ كل همٍّ، لا يَعصم من الذنوب سوى مراقبة علام الغيوب، اغرسوا فيهم عقيدةَ التوحيد، تثبت بها قلوبُهم، وتسكُن إليها نفوسُهم، وتنشرح بها صدورُهم، وتلهَج بها ألسنتُهم، وتقوم عليها أعمالُهم، ربُّوهم على تقوى الله وخشيته ومراقبته، حتى لا يرجو الولدُ إلا ربَّه، ولا يخاف إلاّ ذنبَه، يتعلّقون بالله- عز وجل-، ويتوكّلون عليه، ويتمسّكون بكتابه، ويلتزمون بسُنَّة نبيّه محمد- صلى الله عليه وسلم- ، ويستعينون بالصبر والصلاة، ويذكرون الله كثيرًا، اجعلوا طاعة الله لهم دثارًا، والخوف منه شعارًا، والإخلاص له زادًا، والصدق جنة، ومَن استحيا من الله بلّغه عاليَ المقامات، ورفيعَ المنازل، علموهم أن الله- سبحانه- قد حكم ألاّ يُطيعه أحدٌ إلا أعزَّه، ولا يعصيه أحدٌ إلا أذلّه، العز مربوط بطاعة الله، والذل مربوط بمعصية الله.

> التربية ليست مشروع أسرة أو مشروع مدرسة بل هي مشروع أمة ومشروع دولة.

معاشر المربين: في سورة الإسراء، وفي سورة النور، وفي سورة الفرقان، وفي سورة لقمان، من الوصايا التربوية، والآداب السلوكية، ما يجسّد عناية هذا الدين بأصول التربية، ووسائلها وطرائقها: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)، ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ (النُور: ٢٨)، ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ (النُور: ٣٠)، ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ (الفُرقان: ٦٣)، ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لُقمان: ١٣)، ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (لُقمان: ١٧).

أيها الآباء، أيها المعلمون: حبّبوا إليهم القراءة، وطلبَ العلم، فالعلمُ سلوة العيش، ودليلُ الحيرة، وأنيسُ الوحشة، وخيرُ ما يُعلّمون كتابُ الله؛ تلاوةً، وحفظًا، واستماعًا، في البيت، وفي المدرسة، وفي سائر المرافق والأحوال، وبقدْر ما يقرأ الولدُ من كتاب الله تزداد طمأنينتُه، وتحصُل سعادتُه.

أيها المربون: أقيموا ألسنتهم بلغة القرآن حتى تَحفظ لغتَهم، ويحلو بيانُهم.

معاشرَ الأحبة: ليس أعظم ضعفًا، ولا أشد هزالاً من أن تتكلمَ الناشئةُ بغير لغتها، وتُؤرّخ بغير تاريخها، وتُفاخرَ بغير

إنتاجها، وتحتفلَ بغير أعيادها، علِّموهم أن يغتنموا تعليمَ العالِم، ويستمعوا إلى نصح المشفق، ويأخذوا بإرشاد الحكيم، ويقتدوا ببذل الكريم.

أيها الآباء الفضلاء، أيها المعلمون النبلاء: ربوهم على الفضيلة ومكارم الأخلاق؛ فبالفضائل تُدفع الرذائل، فجمال العقل بالفكر، وجَمال اللسان بالصمت، وجَمال الكلام بالصدق، وجمال الحال بالاستقامة، والقعود عن الفضائل بئس الرفيقُ.

> علموا أولادكم أن الله قد حكم ألا يطيعه أحد إلا أعزه، ولا يعصيه أحد إلا أذله.

التربية بالقدوة أعظم وسائل التربية وأنجحها

معاشرَ الإخوة: ومن أعظم وسائل التربية وأنجحها: التربية بالقدوة؛ الأبناء بحاجة إلى قدوات لا إلى نُقَّاد، جالسوهم، صادقوهم، تحدَّثوا إليهم، فرِّغوا أنفسَكم من أجلهم؛ إنكم إن لم تجدوا لهم عندكم وقتًا، فلن تجدوا عندهم لكم مكانًا، إعطاؤهم من وقتكم خيرٌ لهم من إعطائهم من مالكم، وأن تستثمروا فيهم خيرٌ من أن تستثمروا لهم، كونوا لهم قدوة بحكمة العقل، وعفة اللسان، وصدق الحديث، وطهارة اليد، وحُسن الخُلُق.

يقول عمر بن عُتْبة مخاطبًا معلمَ ولده: "ليكن أولَ إصلاحك لولدي إصلاحُك لنفسك؛ فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحَسَنُ عندهم ما صنعتَ، والقبيحُ عندهم ما تركتَ"، كونوا لهم مستمعين يكونوا لكم بررة، أحبُّوهم، وأثنُوا عليهم، وشجِّعوهم، بادلوهم المزاحَ والمرحَ.

معاشر الآباء والمربين: احذروا أن تستحوذَ على الأبناء والبنات أدواتُ التواصل، والمواقعُ الافتراضية، بُثوا فيهم الوعيَ؛ فلا يُصدِّقوا كلَّ صورة، ولا يستسلموا لكل تغريدة، ولا يَقبَلوا كلَّ معلومة، ففي كثير منها مواطنُ الخلل، ومواضع الزَّلل.

لا يجعلوا أدوات التواصل محطات عبور لشائعة، أو سبيل لغيبة، أو طريق لكذبة تبلغ الآفاق؛ فالأوزار مكتوبة، والآثام محسوبة بلمسة لم تكن في الحسبان، وجِّهوهم أن يجعلوا من هذه الأدوات نقاط تفتيش تحجز الأذى، وتمنع الفحشاءَ.

معاشر المسلمين: ومن أعظم ما يُستهدَف في التربية، إقامة بناء الشخصية في الناشئة، والاعتزاز بالقيَم، والاعتداد بالنفس، والبعد عن التقليد المميت، والحذر من الاندفاع وراءَ مهازيل المشاهير؛ في مَلبَس أو مَطعَم أو سلوك؛ فالعزة لله ولرسوله، وللمؤمنين، ولكنَّ المنافقين لا يعلمون، اغرسوا فيهم أن الباطل باطل، ولو كثر أتباعه، والحق حق ولو قل أتباعه، راية الحق قائمة وإن لم يرفعها أحد، وراية الباطل ساقطة ولو رفعها كل أحد، والحرام حرام ولو فعله كل الناس، المرء بآدابه لا بثيابه، وبدينه وخلقه لا بنسبه وقبيلته.

أيها المربون، أيها المسئولون: شجِّعوهم على الجِدِّ، وحفْظ الوقت، وشغْل وقت الفراغ، وتحمُّل المسئولية، واتخاذ القرار، فمن أكثر الرقادَ لم يُحقِّق المرادَ، ومَنْ كثُر نومُه سبقَه قومُه، وحُبُّ الراحة يُورثُ الندمَ، ولا يُبلَغ الأملُ إلا بالجدِّ والعمل، والهدايةُ طريقُها المجاهدةُ؛ (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العَنْكَبُوت: ٦٩).

بعض علامات صحة التربية

وبعدُ- حفظكم الله-: فإن من علامة صحة التربية قلة الخلاف، وحُسْن الإنصاف، وترك تطلُّب العثرات، والتماس الأعذار، واحتمال الأذى، ولين الكلام، وطلاقة الوجه، ومن العدوان في التربية كثرة اللوم، ورفع الصوت، والمقارنة بالآخرين، والذي يجمع أساليب التربية ويحقِّق ثمرتها التفاهم بين الوالدين، والانسجام والهدوء والاستقرار في البيت، في محبة ورفق وتشجيع وثقة وتغاضٍ وتسامُح؛

فينتج- بإذن الله- أبناء صالحون، صحّت عقائدُهم، وحَسُن سلوكُهم، عناصر بناء وإيجابية في توازُن وانضباط واعتدال، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ) (التّحريم: ٦).

تربية الأولاد إحسان وطاعة وأجر

أيها المسلمُون: تربية الأولاد إحسان، وطاعة، وأجر، وقد أثرَ عن بعض السلف قوله: "إنَّ من الذنوب ما لا يكفره إلا همُّ الأولاد"، الوالدان هما الأرض الذليلة، والسماء الظليلة، والمدّخران لكل جليلة. أيها الآباء، أيها المعلمون: التربية الصحيحة تحفظ الوطن، قبل أن يحرسه الجيش المنظم، والناشئة هم دروع الوطن، وحماة استقراره، علموهم أن الوطنية: إخلاصٌ، وعملٌ، وبناءٌ، وتعاونٌ، وحمايةٌ، وأمانةٌ، واحترامٌ، وطنك تُحبُّه وتدافع عنه، ولا تنتقص منه، ولا ترضى أن يُنتَقص منه، وتقف في وجه إعدائه المتربِّصين به، والحاقدينَ عليه.

الوطنيةُ محافظةٌ على الممتلكات، والمرافق، والمقدَّرات، وسلوك سبيل الرُّشد، والترشيد في الصرف والاستهلاك، والطاقة والثروات، وحماية النزاهة، ومكافحة الفساد أيًا كان مصدره، وأيًا كان مقترفُه، علِّموهم أن المواطنة توظيف المَلَكات، والقدرات، والخبرات، في خدمته، وتعزيزه، ورفعته على الأصعدة كافةً، الوطنية عينٌ ساهرة، وهمَّة عالية، وسعيٌ حثيثٌ إلى مراقي النجاح، الوطنية أن يكون المواطن الصادق مرآةً لوطنه، فما يَصدُر عنه هو انعكاس لوطنيته، الوطنية أن يكون المواطن رمزًا لوطنه في الداخل، وسفيرًا له الخارج، الوطنية أن تكون قدوةً صالحةً صادقةً ناصحةً، تحفظ لولاة الأمر حقَّهم من الطاعة، والمحبة، والنصح، والدعاء، وصدقَ الولاء، الوطنية ولاء يَنبذ العصبيةَ بكل أشكالها، من قبلية ومناطقية وطائفية.

المعنى الصحيح للوطنية

معاشر الإخوة: فإذا كانت هذه هي بعض معاني الوطنية ومظاهرها، فما بالكم إذا كان الوطن هو مهد الإسلام، وبلد المقدَّسات، الذي يرفع رايةَ الإسلام، ويَحكُم الكتاب والسُّنَّة، إذا كان الوطن هو بلد الحرمين الشريفين: المملكة العربية السعودية، الوطنية في هذا البلد المبارك التزام بدين الله، عقيدةً وشريعةً، واتباع لنهج السلف الصالح، في ثوابته، وأخلاقه، وجميل عاداته وأعرافه، والنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامَّتهم.

ألا فاتقوا الله- رحمكم الله-: فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته؛ فالرجل راعٍ في بيته، ومسؤولٌ عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها، ومسؤولةٌ عن رعيتها، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته.

اللهم ربنا لك الحمد، كما خلقتنا، ورزقتنا، وهديتنا، وعلمتنا، وأنقذتنا، وفرَّجتَ عنا، لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، كبت عدونا، وبسطت رزقنا، وأظهرت أمننا، وجمعت فرقتنا، وأحسنت معافاتنا، لك الحمد على ذلك حمدا كثيرا، كما تنعم كثيرا، لك الحمد بكل نعمة أنعمتَ بها علينا، في قديم أو حديث، أو خاصة أو عامة، أو سر أو علانية، أو حي أو ميت، أو شاهد أو غائب، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولكَ الحمد على الرضا، ولك الحمد على كل حال.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

(سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) (الصَّافات: ١٨٠- ١٨٢).

مقالات في معاني القراءات

إعداد **د. أسامة صابر**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فمع بعض معاني القراءات الواردة في بعض سور كتاب الله الكريم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

من سورة الرعد

قوله تعالى: (بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) (الرعد: ٣٣).

القراءات: «وصدوا» قرأ الكوفيون ويعقوب بضم الصاد، والباقون بفتحها.

المعنى: على قراءة «صَدوا» أسند فعل الصد إليهم فهم قد صَدوا غيرهم فأضلوهم كقوله تعالى «الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ» (محمد:١)، وعلى قراءة «صُدوا» معناه: أضلوا وفاعل الصد عتاة الكفار وكبراؤهم وكلا المعنين متقارب، وذلك أن المشركين بالله كانوا مصدودين عن الإيمان به، وهم مع ذلك كانوا يصدون غيرهم «تفسير الطبري) سورة الرعد:٣٣، معانى القراءات للأزهري ص٢٤٧».

ومن سورة إبراهيم

قوله تعالى: «إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ① اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» (إبراهيم: ١ - ٢).

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر برفع الهاء من لفظ الجلالة وصلاً وابتداءً على الاستئناف؛ لأن الآية الأولى قد انقضت ثم استؤنف بآية أخرى، وقرأ رويس برفعها في الابتداء وخفضها في الوصل، والباقون بالجر في الحالين على البدل مما قبله أو على أنه عطف بيان (طلائع البشر- محمد الصادق قمحاوي ص٩٢).

قوله تعالى: (وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) (إبراهيم: ٤٦).

القراءات: «لتزول» قرأ الكسائي بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، والباقون بكسر الأولى ونصب الثانية

المعنى: على قراءة الكسائي «لَتزولُ» تكون "إن" في قوله «وإن كان» مخففة من الثقيلة واللام الأولى في «لتزول» لام توكيد والفعل مرفوع على أصله والتقدير: وإنه كان مكرهم لتزول منه الجبال ومعنى هذه القراءة كما فسرها أبيّ: أنهم مكروا مكرهم وعند الله مكرهم ولولا كلمة الله لزال من مكرهم الجبال، فهذا دليل على شدة مكرهم وقوته، كما قال: «وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا» (نوح: ٢٢).

وعلى قراءة «لِتزولَ» تكون "إن" بمعنى "ما" واللام الأولى في «لتزول» لام نفي، ونصب الفعل بها، والتقدير: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال، ومعنى هذه القراءة تصغير مكرهم وتحقيره وأنه لا يستطيع إزالة الجبال، والجبال يراد بها ما ثبت من الحق والدين والقرآن، أي لم يكن مكرهم ليُذهب الحق ولذا قال بعده «فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله» (معانى القراءات للأزهري ص٢٥٢، الكشف ٢ / ١٣٨).

ومن سورة الحجر

قوله تعالى: (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) (الحجر:١٥).

القراءات: قرأ ابن كثير (سكرت) بتخفيف الكاف أي سُحرت وحُبست فلا تدرك الأشياء على حقيقتها، وقرأ غيره بتشديد الكاف أي غشيت فغطيت، وقيل هما لغتان (حجة القراءات لابن زنجلة ص١٧٨).

قوله تعالى: (قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) (الحجر:٤١).

القراءات: قرأ يعقوب بكسر اللام ورفع الياء مشددة منونة (عَليٌّ) من علو الشرف، وقرأ الباقون بفتح اللام وفتح الياء مشددة من غير تنوين (عَليَّ) أي طريق علي يؤدي إليَّ، قال مجاهد: الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه، أو حق عليَّ أن أهدي من سلك هذا الطريق نحو قوله تعالى: (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (تفسير الطبري سورة الحجر: ٤١، طلائع البشر- محمد الصادق قمحاوي ص٩٤).

ومن جهالات الشيعة وافترائهم على كتاب الله أن حرفوا الآية فأضافوا الصراط إلى عليَ (هذا صراط عليٍّ) يعنون علي بن أبي طالب، فاختلقوا هذا الكذب ونسبوه زورا إلى الحسن البصري.

ومن سورة النحل

قوله تعالى: (يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ) (النحل:٢).

القراءات: (ينزل) قرأ روح بتاء مثناة مفتوحة ونون مفتوحة وزاي مفتوحة مشددة (تَنَزَّل) وأصله تتنزل وحذفت إحدى التاءين تخفيفا ورفع (الملائكة)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بالتخفيف (يُنزل) مضارع أنزل، وفاعله ضمير يعود على الله عز وجل، والباقون بالتشديد (يُنَزِّل) على أنه مضارع نَزَّل وكلهم بنصب تاء الملائكة إلا روحًا فإنه يرفعها.

المعنى: الملائكة تتنزل بالوحى على الرسل، وذلك بأمر الله فهو الذى ينزلها بالوحي على من يشاء من عباده (تفسير الطبري سورة النحل:٢، طلائع البشر- محمد الصادق قمحاوي ص٩٤).

قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) (النحل: ٢٠).

القراءات: قرأ عاصم ويعقوب بالياء (يدعون)، والباقون بالتاء (تدعون).

المعنى: بالنظر إلى الآية قبلها (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون)، تكون قراءة (يدعون) التفات من الخطاب إلى الغيبة لإسقاطهم عن درجة الاعتبار، وعلى قراءة (تدعون) التفات من الخطاب العام للمؤمنين والكافرين في الآية قبلها إلى الخطاب الخاص للمشركين، وهذا أظهر في التوبيخ والتبكيت والوعيد (طلائع البشر- محمد الصادق قمحاوي ص٩٥).

قوله تعالى: (فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ) (النحل: ٣٧).

القراءات: (لا يهدي) قرأ الكوفيون بفتح الياء وكسر الدال وياء بعدها (لا يَهْدِي) وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الدال وألف بعدها (لا يُهْدَى).

المعنى: على قراءة الكوفيين فإن الله لا يهدي من أضله في سابق علمه، أو تكون (يهدي) بمعنى يهتدي، أي فإن الله من أضله لا يهتدي، وعلى قراءة (لا يُهْدَى): من أضله الله فلا هادي له (تفسير الطبري سورة النحل: ٣٧، الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/١٤٧).

قوله تعالى: (لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ) (النحل:٦٢).

القراءات: (مفرطون) فيها ثلاث قراءات:

١- قرأ نافع بكسر الراء مع تخفيفها (مُفْرِطون) اسم فاعل من أفرط إذا جاوز الحد، والمعنى: أنهم مجاوزون الحد في الطغيان، أو أفرط إذا أعجل فمعناه: معجلون إلى النار، أي سابقون إليها، وفي الحديث (أنا فرطكم على الحوض) أي متقدمكم وسابقكم.

٢- قرأ أبو جعفر بكسر الراء وتشديدها (مُفَرِّطون) أي مقصرون في حق أنفسهم وفي طاعة الله ومنه قوله تعالى (أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله) (الزمر:٥٦).

٣- قرأ الباقون بفتح الراء مخففة (مُفْرَطون) اسم مفعول من (أفرطوا) أي أعجلوا إلى النار، وقيل معناه مهملون ومنسيون في العذاب (طلائع البشر ص٩٦، الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/١٤٨).

قوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَـٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟) (النحل: ١١٠).

القراءات: (فتنوا) قرأ ابن عامر بفتح الفاء والتاء (فَتَنوا) على معنى: من بعد ما فتنوا غيرهم، أي عذبوا غيرهم على الدين ليرتدوا عن الإسلام، ثم تابوا وآمنوا وهاجروا فإن الله غفور لفعلهم ومنهم صفوان وعكرمة، أو المعنى: افتتنوا أي وقعوا في الفتنة، وقرأ الباقون بضم الفاء وكسر التاء (فتنوا) أي عُذبوا في الله وأكرهوا على الارتداد وقلوبهم مطمئنة بالإيمان كعمار بن ياسر وإخوانه، فأعلمهم الله بالمغفرة لما حُملوا عليه (معاني القراءات للأزهري ص٢٦٤، الكشف ٢/ ١٥١).

وللحديث صلة،

والحمد لله رب العالمين.

فضل وآداب زيارة المريض

إعداد **الشيخ/صلاح نجيب الدق**

الحَمْدُ لله تَعَالَى، نَاصر أَوْلِيَائه الصَّادقِين، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمد الصَّادق الأَمين. وَبَعْدُ: فإنَّ زيارة المريض لها فَضلٌ وآدابٌ ينبغِي على المسلم أن يعرفها. فأقول وبالله تَعَالَى التوفيق:

الابتلاء سُنّة الله في عباده:

قال اللّه تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة:١٥٥:١٥٧)؛ لقد ابتلى الله تبارك وتعالى كثيراً مِنَ الأنبياء والصالحين ليختبر مدى صبرهم وليرفع درجاتهم في جنات النعيم. إن أشد الناس ابتلاءً هم الأنبياء ثم الصالحون.

وعَنْ سَعْد بنِ أبي وقاص رَضيَ اللّه عَنْهُ، قَالَ: قلْتُ يَا رَسُولَ اللّه: أَيُّ النَّاسِ أَشدُّ بَلاَءَ ؟ قَالَ: الْأَنْبيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ. فَيُبْتَلى الرَّجُلُ عَلَى حَسَب دينه فَإنْ كَانَ دينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ وَإنْ كَانَ في دينه رقَّةٌ ابْتُليَ عَلَى حَسَب دينه فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بالْعَبْد حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشي عَلَى الْأَرْض مَا عَلَيْه خَطيئَةٌ. (صحيح الترمذي- للألباني- حديث ١٩٥٦).

اللّه تَعَالَى ابتلى نبيه أيوبَ صلى الله عليه وسلم بالمرض سنوات عديدة، فصبر على ذلك ثم شفاه الله عز وجل. قال سُبْحَانَهُ: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ) (الأنبياء: ٨٣: ٨٤).

فضل الصبر على المرض:

حثنا نبينا محمدٌ صلى الله عليه وسلم في سُنَّته الكريمة على الصبر على المرض لما يترتب على ذلك من جزيل الأجر ورفع درجات المسلم في الجنَّة، ومن ذلك:

(١) عَنْ أَبي سَعيد وَأَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللّه عَنْهُما، أَنَّهُمَا سَمعَا رَسُولَ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا يُصيبُ الْمُؤْمنَ منْ وَصَبٍ وَلاَ نَصَبٍ وَلاَ سَقَمٍ وَلاَ حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهِمُّهُ إلاَّ كُفِّرَ بِهِ منْ سَيِّئَاته. (مسلم- حديث ٢٥٧).

(٢) عَنْ أَنَس بْنِ مَالكٍ رَضيَ اللّه عَنْهُ قَالَ: سَمعْتُ النَّبيَّ صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إنَّ اللّه قَالَ: إذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدي بحَبيبَتَيْه فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ منْهُمَا الْجَنَّةَ.(يُريدُ عَيْنَيْه). (البخاري- حديث ٥٦٥٣).

قَالَ الإمامُ ابنُ حجر العسقلاني (رحمهُ الله): الْمُرَاد أَنَّهُ يَصْبِر مُسْتَحْضرًا مَا وَعَدَ اللّه به الصَّابِر منْ الثَّوَاب، لاَ أَنْ يَصْبِر مُجَرَّدًا عَنْ ذَلكَ،

لأنَّ الأعْمَال بالنِّيَات، وابْتلاء الله عبْده في الدُّنْيا لَيْس منْ سُخطه عَلَيْه بلْ إمَّا لدفْع مَكْرُوه أوْ لكفَّارَة ذُنُوب أوْ لرفْع منْزلة، فإذا تَلَقَى ذلك بالرِّضا تم له المُراد. (فتح الباري لابن حجر ج١٠ ص١٢١).

(٣) عَنْ جابِرِ بْن عبْد الله رَضيَ الله عَنْهُما، أنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أمِّ السَّائب، فقال: ما لك يا أمْ السَّائب تُزَفْزفين ؟ (تَرْتعدين). قالتْ: الحُمَّى لا بَارَكَ الله فيها. فقال: لا تَسُبِّي الحُمَّى فإنَّها تُذْهبُ خطايا بَني آدَم كما يُذْهبُ الْكيرُ خَبَثَ الْحديد. (مسلم- حديث: ٢٥٧٥).

(٤) عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود رَضيَ الله عنْه، قال: دَخلْتُ على رَسُول الله صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شديدًا، فَمَسسْتُهُ بيدي فقُلْتُ: يا رَسُول الله، إنَّك لتُوعَكُ وَعْكًا شديدًا؟ فقال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: أجَل، إنِّي أوعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلانِ منْكُمْ. فقُلْتُ: ذلك أنَّ لَكَ أجْرَيْن؟ فقال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: أجَلْ ثُمَّ قال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: ما منْ مُسْلم يُصيبُهُ أذًى، مَرَضٌ فما سواهُ، إلاَّ حطَّ الله لَهُ سَيِّئاته، كما تَحطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا. (البخاري- حديث: ٥٦٦٠ / مسلم- حديث: ٢٥٧١).

(٥) عَنْ أُمِّ الْعَلاء، رَضيَ الله عَنْها، قالتْ: عَادَني رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَأنَا مَريضَة، فقال: أبْشري يا أمَّ الْعَلاء، فإنَّ مَرَضَ الْمُسْلم يُذْهبُ الله به خَطَايَاهُ كَمَا تُذْهبُ النَّارُ خَبَثَ الذَّهَب وَالْفضَّة (حديث صحيح) (صحيح سنن أبي داود للألباني حديث: ٢٦٥١).

استمرار ثواب أعمال المريض إذا حسنت نيته:

عَنْ أبي مُوسَى الأشعري رَضيَ الله عَنْهُ، قَال: قَال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: إذَا مَرضَ الْعَبْدُ أوْ سَافرَ كُتبَ لَهُ مثْلُ ما كَانَ يَعْمَلُ مُقيمًا صَحيحًا. (البخاري- حديث: ٢٩٩٦).

ومعنى الحديث: إذا فات المسلم عَمَلُ صالحُ بسبب المرض أو السفر أو شُغل طاعة أو مُباح، أعطاه الله تعالى ثواب ذلك العمل؛ لأنه معذور في فوت ذلك العمل، وهذا في غير الفرائض، أما الفرائض لا عذر في فوتها إلا الصوم في السفر والمرض، فإنه يجوز أن يفطر بشرط القضاء. (المفاتيح في شرح المصابيح للشيرازي- ج٢- ص٣٩٨).

فضل زيارة المريض:

حثنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على زيارة المريض، وبين لنا فضل زيارة المريض في كثير من أحاديثه، وسوف نذكر بعضا منها:

(١) عَنْ ثَوْبَانَ رَضيَ الله عَنْهُ، مَوْلَى رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ عَنْ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ عَادَ مَريضًا لَمْ يَزَلْ في خُرْفَة الْجَنَّة، قيل يا رَسُول الله وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّة؟ قَال: جَنَاهَا. (مسلم- كتاب البر حديث: ٤٢).

قَوْلُهُ: (عَادَ مَريضًا) أيْ: قَامَ بزيَارَته وَتَعَهَّدَهُ وَتَفَقَّدُ أحْوالَه وَتَلَطَّفَ به، وَرُبَّمَا كَانَ ذَلكَ سَبَبًا لوُجُود نَشَاط الْمَريض، وَانْتعَاش قُوَّته.

(٢) عَنْ أبي مُوسَى الأشْعَريِّ رَضيَ الله عَنْهُ، عَنْ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَال: أطْعمُوا الْجَائعَ وَعُودُوا الْمَريضَ وَفُكُّوا الْعَاني (الأسير). (البخاري- حديث: ٥٦٤٩)

(٣) عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضيَ الله عَنْهُ، قَال: سَمعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: حَقُّ الْمُسْلم عَلَى الْمُسْلم خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ وَعيَادَةُ الْمَريض وَاتِّبَاعُ الْجَنَائز وَإجَابَةُ الدَّعْوَة وَتَشْميتُ الْعَاطس. (البخاري: حديث ١٢٤٠).

وَقَوْلُهُ: (حَقُّ الْمُسْلم) قَال الإمَامُ الشوكاني (رَحمَهُ الله): أي: أنَّهُ لا يَنْبَغي تَرْكُهُ وَيَكُونُ فعْلُهُ إمَّا وَاجبًا أوْ مَنْدُوبًا نَدْبًا مُؤَكَّدًا شَبيهًا بالْوَاجب الَّذي لا يَنْبَغي تَرْكُهُ. (نيل الأوطار- للشوكاني- ج٤- ص٢١).

(٤) عَنْ علي بن أبي طالب، رَضيَ الله عَنْهُ، قَال: سَمعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: مَا منْ مُسْلم يَعُودُ مُسْلمًا غُدْوَةً إلا صَلَّى عَلَيْه سَبْعُونَ ألْفَ مَلَك حَتَّى يُمْسيَ، وَإنْ عَادَهُ عَشيَّةً إلاَّ صَلَّى عَلَيْه سَبْعُونَ ألْفَ مَلَك حَتَّى يُصْبحَ وَكَانَ لَهُ خَريفٌ في الْجَنَّة (صَحيح سنن الترمذي- للألباني- حديث: ٧٧٥).

الدعاء للمريض:

(١) عَنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها: أنَّ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، كانَ إذا أتى مريضًا أوْ أُتيَ بهِ، قالَ: أذهِبِ الباسَ ربَّ النَّاسِ، اشْفِ وأنتَ الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤكَ، شفاءً لا يُغادرُ سَقمًا. (البخاري حديث ٥٦٧٥، ومسلم حديث ٢١٩١).

(٢) عَنْ أبي سَعيد الخدري رضيَ اللهُ عنهُ، أنَّ جبْريلَ أتى النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّم، فقالَ: يا مُحمَّدُ اشتكيْتَ (مرضتَ) ؟ فقالَ: نعمْ قالَ: باسْمِ اللهِ أرْقيكَ منْ كلِّ شيْءٍ يُؤذيكَ منْ شرِّ كُلِّ نفْسٍ أوْ عيْنِ حاسدٍ اللهُ يشْفيكَ، باسْمِ اللهِ أرْقيكَ. (مسلم- حديث ٢١٨٦).

(٣) عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهُما أنَّ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم دخلَ على أعرابيٍّ يعُودُهُ، فقالَ: لا بأسَ عليْكَ طهُورٌ إنْ شاءَ اللهُ. (البخاري- حديث ٧٤٧٠).

(٤) عن ابْنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما، أن النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ: منْ عادَ مريضًا لمْ يحْضُرْ أجلُهُ فقالَ عندَهُ سبْعَ مرارٍ: أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرْشِ العظيمِ أنْ يشْفيكَ، إلا عافاهُ اللهُ منْ ذلكَ المرضِ. (حديث صحيح) (صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٦٦٣).

ثمرات زيارة المريض:

نستطيعُ أن نُوجز ثمرات زيارة المريض في الأمور التالية:

(١) زيارة المريض إرضاءٌ لله عزَّ وجلَّ.

(٢) زيارة المريض تذكير بالآخرة، وترقيق للقلب.

(٣) زائرُ المريض تُصلِّي عليه الملائكة وتستغفر له.

(٤) زيارة المريض اتّباع لسُنَّة نبينا، صلَّى الله عليْه وسلَّم.

(٥) زيارة المريض فيها رجاء شفاء المريض ببركة دعاء الزائر له.

(٦) زيارة المريض تحقيق للتَّواصل بين المسلمين وتحقيق للألفة بينهم.

(٧) زيارة المريض جبرُ لخاطر أهله وإشاعة روح المحبَّة بين النَّاس.

(٨) زيارة المريض تطييبٌ لخاطره ورفعٌ لروحه المعنويّة ممَّا يُعجِّل له بالشِّفاء. (موسوعة نضرة النعيم- ج٧- ص٣٠٦٩).

نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة في زيارة المريض:

(١) عَنْ سَعد ابن أبي وقاص رضيَ اللهُ عنْهُ، قالَ: عادني رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم في حجَّة الوداع منْ وجعٍ أشفيْتُ منْهُ على الموْت. (مسلم حديث:١٦٢٨).

(٢) عَنْ جابرٍ رَضيَ اللهُ عنهُ، قالَ: جاءني النَّبيُّ صلى اللَّه عليه وسلم يعُودُني، ليْسَ براكبِ بغْلٍ ولا برْذوْنٍ (فرس غير عربي). (صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٦٥٤).

(٣) عَنْ زيْدِ بْنِ أرْقمَ، رَضيَ اللهُ عنْهُ، قالَ: عادني رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم منْ وجعٍ كانَ بعيْني. (صحيح أبي داود للألباني حديث:٢٦٥٩).

آداب زيارة المريض:

لزيارة المريض آدابٌ ينبغي للمسلم معرفتها والعمل بها، وهذه الآداب يُمكن أن نُوجزها في الأمور التالية:

(١) إخلاص العمل لله تعالى وحده والابتعاد عَن الرياء والسُّمْعَة.

(٢) اختيار الوقت المناسب لزيارة المريض.

(٣) غض البصر عَن محارم المريض.

(٤) عدم إطالة الجلوس عند المريض حتى لا يتضايق.

(٥) لا يتكلم عند المريض بما يزعجه.

(٦) إظهار الرأفة على المريض.

(٧) الإخلاص في الدعاء للمريض.

(٨) يُوسِّعُ للمريض في الأمل.

(٩) ينصح المريض بالصبر لما فيه من جزيل الأجر.

(١٠) تحذير المريض مِن الجَزَع لما فيه من الوِزْر.

(١١) إذا كان المريض في مرض موت ، فإننا نُذكرهُ بمحاسن أعماله ونُخفي عنه سيئها، حتى يُحسِنَ الظن بالله سُبْحانَهُ وتعالى. (فتح الباري- للعسقلاني- ج١٠- ص١٣١؛ ١٣٢)

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا مُحمَّد، وعلى آله، وأصْحابه، والتَّابعينَ لهُمْ بإحْسانٍ إلى يوْمِ الدِّين.

الموقع الرسمي والوحيد لمجلة التوحيد

www.magalet-eltawheed.com

موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني
موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٨ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة ـ عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

مفاجأة

سعر الكرتونة

٩٢٠ جنيه مصري بدلا من ١١٧٠

هدايا
قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

صدر حديثًا مجلد عام ١٤٤١ بسعر ٦٥ جنيهًا للنسخة

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيها بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513